المنازل الثلاثة للرحمة الإلهية

العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي


بسم الله الرحمن الرحيم



المنازل الثلاثة للرحمة الإلهية

تأليف: آية الله العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي

إعداد وتحقيق وتصحيح: الدكتور الشيخ حسين اليوسف

الطبعة: الأولى، ٢٠٢٥ م

نشر: مؤسسة حفظ ونشر تراث العلامة الآصفي

m.m.alasefi@gmail.com

الفهرس

كلمة المؤسسة ١٣
تعريف بمحاور البحث ١٥

المحور الأول: الرحمة الإلهية

الرحمة من أبرز صفات الله تعالى ١٩
مشتقات لفظ (الرحمة) ٢٠
رحمة الله واسعة ٢١
الرحمة كتبها الله على نفسه ٢٢
الرحمة سابقة ٢٤
مشاهد من الرحمة الإلهية في علاقة الله بعباده في القرآن ٢٦
مشاهد من الرحمة التي خلقها الله في نفوس عباده ٢٧

المحور الثاني: منازل الرحمة الإلهية

المنازل الثلاثة لرحمة الله ٣٣
المنزل الأول: الزّمان ٣٤
دورة الزمان في الأشهر القمرية ٣٥
الأشهر الثلاثة الفضيلة في السنة ٣٦

المنازل الثلاثة للرحمة الإلهية

١. شهر رجب ٣٦
ليلة ٢٧ من شهر رجب ٣٨
٢. شهر شعبان ٣٨
ليلة النصف من شعبان ٣٩
٣. شهر رمضان ٣٩
ليلة القدر ٤٠
التفرّغ للعبادة في أربع ليالٍ من السنة ٤٠
يوم عرفة ٤٠
ليلة ونهار الجمعة ٤١
دولة الليل ٤١
استنزال الرحمة في آناء الليل ٤٢
ساعة الإجابة ٤٤
المقام المحمود ٤٥
الأسحار ٤٦
المنزل الثاني: المكان ٤٧
المساجد ٤٧
وادي عرفة ٤٨
الحَرَمان الشريفان ٤٨
مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ٤٩
المسجد الجامع بالكوفة ٤٩
مسجد السهلة ٥٠
الحائر الحسيني ٥١
المنزل الثالث: الإنسان ٥٣
الإيمان ٥٥
التوحيد ٥٥
الإخلاص ٥٦
التقوى والورع ٥٩

الفهرس

العمل الصالح ٦٠
الاستقامة على الحق ٦١
الذِّكر ٦١
الصلاة ٦٢
السجود ٦٥
قراءة القرآن ٦٧
الفقر والحاجة ٦٩
الدعاء ٧٠
الاستغفار والتوبة ٧٠
الشَّيبة في الإسلام ٧١
الجماعة والاجتماع ٧٢
جماعة المسلمين عاصمة ٧٣
صلاة الجماعة ٧٤
مجالس المؤمنين ٧٧
القلوب المتحابّة ٧٩
الصَّدقة ٧٩
رِقة القلوب ٨١
حالة الاضطرار إلى الله ٨٢
الصلاة على محمد وآل محمد ٨٥
طوائف أخرى من مستنزلات الرحمة في حياة الإنسان ٨٥

المحور الثالث: اغتنام منازل الرحمة ومراقبتها

اغتنام منازل الرحمة الإلهية ٨٩
الخُسْر ٨٩
الحَسْرَة ٩٢
عمومية الحسرة ٩٥
تثبيت الفرص ٩٧

المنازل الثلاثة للرحمة الإلهية

اغتنام الفرص ٩٨
المبادرة والتعجيل في اغتنام الفرص ٩٩
التحذير من التكاسل في العمل ١٠١
عدم استصغار حسنة ولا سيئة ١٠١

المحور الرابع: الوعي والمراقبة

تمهيد ١٠٣
الوعي ١٠٤
أقسام الوعي ١٠٤
القسم الأول: وعي وجود الله وصفاته ١٠٥
القسم الثاني: وعي النَّفْس ١٠٦
القسم الثالث: وعي الفِتَن ١٠٧
فتن الشر وفتن الخير ١٠٨
فتن الشرّ في القرآن ١٠٨
فتن الخير في القرآن ١٠٩
القسم الرابع: وعي الفُرَص ١١٠
المراقبة ١١٢
المراقبة الأولى: مراقبة الله تعالى ١١٢
المراقبة الثانية: مراقبة النفس ١١٤
المراقبة الثالثة: مراقبة الفتن ١١٥
المراقبة الرابعة: مراقبة الفُرَص ١١٦

الملحقات

الملحق (١): حقيقة دعاء الغريق ١١٩
الملحق (٢): الغَبْن في اللغة والاصطلاح ١٢١
١. الغَبْن في اللغة ١٢٢
الغَبْن في الاصطلاح ١٢٣

الفهرس

الغَبْن في الفقه ١٢٤
تعريف الغبن ١٢٤
شروط ثبوت خيار الغبن ١٢٤
الشرط الأول: عدم علم المغبون بالقيمة ١٢٤
الشرط الثاني: كون التفاوت فاحشًا ١٢٥
الحكم المترتب على الغبن ١٢٦
الغَبْن في القرآن الكريم ١٢٦
الأقوال في تفسير (التغابن) ١٢٨
روايات مؤيدة للقول الرابع ١٣٠

فهرس المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧ - ٣٦].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

كلمة المؤسسة

قال تعـالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾. [الأعراف: ١٥٦].

الله سـبحانه وتعالى رحيم بعباده، ورحمته هذه - وبمنطق القرآن الكريم - واسـعة لا حدود لها، وكيف لا وهي تتنزل من المطلق اللامتناهي، والغني الذي لا يحتاج إلى غيره، والجواد الكريم الذي عنده خزائن السماوات والأرض!

وكما أنّ هذه الرحمة لا حدود لها، فكذلك لا زمان ولا مكان خاصّين لنزولها، لكن على العبد أن يسعى جهده لاستنزال هذه الرحمة من خلال التقرّب إلى الله.

وهنـاك أوقات معيّنة وأماكن خاصة يمكن للعبد أن يكـون فيها أقرب إلى الله تعالى ويستنزل فيها الرحمة الإلهية أكثر من غيرها، وعلى العبد أن يستغلها.

وقد وردت الإشارة إلى هذه الأوقات والأماكن وخصوصياتها في القرآن الكريم والمأثور عن المعصومين عليهم السلام.

من هنا؛ كانت تسمية هذا الكتاب؛ حيث بيّن فيه الشيخ الآصفي رحمه الله المنازل التي يكون فيها العبد أقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وكيف يستفيد منها لاستنزال الرحمة الإلهية قدر الإمكان.

ونحن بدورنا وسعيًا منّا لنشر هذه الحقائق ونشر تراث هذا العَلَم الكبير، قمنا بما يلي:

١. إعادة تبويب وترتيب وصياغة بعض عناوين هذا الكتاب ومباحثه.

٢. تحقيق وتخريج المصادر وتدقيقها، وتدعيم المحتوى بآيات وروايات ومصادر أخرى.

٣. تصحيح المتن وتدقيقه نحويًا ولغويًا وطباعيًا، وإخراجه فنيًا بالشكل المناسب.

٤. التعليق على بعض العناوين والمباحث والاصطلاحات وشرحها وتوضيحها وإكمال فكرتها مع التعريف بالمصادر المختصة بالموضوع، علمًا أنّ بعض هذه التعليقات والشروح تأتي في الهامش، وبعضها الآخر على شكل ملحقات في آخر الكتاب.

٥. جميع التعليقات والتوضيحات التي تأتي في الهوامش، والملحقات التي تأتي في آخر الكتاب، هي للمحقق الدكتور الشيخ حسين اليوسف (حفظه الله).

٦. إعداد فهرس خاص بالمراجع والمصادر التي تمّ الاعتماد عليها مع بيان هوية المصدر بشكل كامل ومفصّل ليسهل على القارئ الرجوع إلى المصادر ذات الصلة والتوسّع في المطالعة والبحث.

فكان هذا الكتاب الذي بين أيديكم، فنرجو أن ينال إعجابكم، ويحقق الفائدة والأهداف المرجوّة منه، طالبين بذلك رضى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام.

مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي رحمه الله

تعريف بمحاور البحث

في حياة الإنســان منازل ثلاثة للرحمة الإلهية نتحدث عنها في هذا المقال، ولكن قبل البيان التفصيلي للبحث نبيّن إجمالا المحاور الرئيسية:

المحور الأول: الرحمــة الإلهية: إنّ رحمة الله تعــالى هابطة في كل مكان وزمان لا يخلو منها شيء. يقول تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[2].

المحور الثاني: منــازل الرحمة الإلهية: هناك منازل تنزل عليها هذه الرحمة الإلهية بشــكل خاص، وتنزل بغزارة وكَأنَّ رحمة الله تصب عليها صبًا غزيرًا من غير حساب.

وأعظم هذه المنازل ثلاثة:

١. **منازل زمانيــة؛** مثل ليلة الخامس عشــر من شــعبان، وليلة الجمعة، وليلة القدر من شــهر رمضان. يقــول تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ

---

١. الأعراف: ١٥٦.

٢. غافر: ٧.

مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[2].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَاتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[4].

٢. **منازل مكانية؛** مثل وادي عرفه يوم عرفه، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والحائر الحسيني، والمسجد الأعظم في الكوفة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[5].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[6].

﴿فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾[7].

---

١. القدر: ٥ - ٣.
٢. الدخان: ٣.
٣. البقرة: ١٨٥.
٤. إبراهيم: ٥.
٥. آل عمران: ٩٦.
٦. النور: ٣٧ - ٣٦.
٧. القصص: ٣٠.

﴿سُبْحٰانَ الَّذِيٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِى بٰارَكْنٰا حَوْلَهُ﴾[1].

٣. **الإنسان، وما رزق الله الإنسان؛** من القيم والمواهب والأعمال والأحوال؛ مثل التوحيد والقرآن والذّكر والصلاة والتقوى والمعرفة والدعاء والسجود، وكل ذلك أدخلناه في عنوان الإنسان؛ لأنّ الله تعالى خصّ بها الإنسان... وحملها الإنسان. هذه المواهب العظيمة والمباركة جعلها الله تعالى منازل لرحمته الواسعة وبركاته العظيمة، وجعل الإنسان موضعًا لهذه البركات العظيمة؛ فهو يوحّد الله، ويذكر الله، ويتلو القرآن، ويحمله إلى الناس, ويتّقي الله... قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبٰارَكًا اَيْنَ مٰا كُنْتُ﴾[2].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنٰا بَنِيٓ ءٰادَمَ وَحَمَلْنٰاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنٰاهُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِ وَفَضَّلْنٰاهُمْ عَلٰى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنٰا تَفْضِيلًا﴾[3].

المحور الثالث: اغتنام هذه المنازل ومراقبتها: على الإنسان في هذه الأيام المحدودة التي يعيشها على وجه الأرض في الحياة الدنيا أن يغتنم منازل الرحمة، ويراقب مواعيدها ومساراتها ومواطنها، ولا يدعها تفوته، فإن الفُرص تمر مرّ السحاب.

والتفريط في هذه الفرص يورث صاحبها الحسرة والندم يوم الحسرة الكبرى. يقول تعالى: ﴿اَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰا حَسْرَتٰى عَلٰى مٰا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللّٰهِ﴾[4].

---

١. الإسراء: ١.

٢. مريم: ٣١.

٣. الإسراء: ٧٠.

٤. الزمر: ٥٦.

وعن أميــر المؤمنين علي عليه السلام: (إنّ الفرص تمرّ مرّ السّــحاب، فانتهزوها إذا أمكنت في أبواب الخير، وإلّا عادت ندما)[1].

المحور الرابع: الوعي والمراقبة: ولكي لا تفوت الإنســان المبادرة إلى فرص الرحمة الإلهية واغتنام منازلها؛ يحتاج إلى الوعي؛ وعي وجود الله وصفاته، ووعي النفــس، ووعي الفتن، ومراقبة الله. وبدون المراقبــة لا يحصل الوعي؛ بل يكون هنــاك جهل وتكون هناك غفلة تجاه هذه الفرص؛ لذلك على الإنســان مراقبة الله ومراقبــة النفس ومراقبة الفتن ومراقبة الفــرص. إذًا؛ هو يحتاج إلى الأمرين معًا؛ الوعي والمراقبة.

هذه مقالــة موجزه في الرحمــة الإلهية ومنازلها في الــزمان والمكان وعند الإنسان والحث على مراقبة هذه المنازل وانتهازها، وعدم التفريط فيها.

إذًا؛ في تفاصيل بحثنا القادم نتناول إن شاء الله المحاور الأربعة التالية:

المحور الأول: الرحمة الإلهية.

المحور الثاني: منازل الرحمة ومواطنها في حياة الإنسان.

المحور الثالث: اغتنام منازل الرحمة الإلهية.

المحور الرابع: الوعي والمراقبة.

وإليك تفصيل هذه المحاور...

---

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٣٨.

المحور الأول: الرحمة الإلهية

الرحمة من أبرز صفات الله تعالى

إنّ من أبرز صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى وأكثرها شيوعًا واستعمالًا في القرآن والحديث بعد اسم الجلالة (الله) هو الرحمة.

فقد ورد اسم الجلالة (الله) في ٩٨٠ آية؛

وكلمة (الرحمة) في ٤٠ آية؛

وكلمة (الرحمن) في ١٧١ آية؛

وكلمة (الرحيم) في ٢٠٩ آيات.

و(الرحمن) هو الاسم الثاني بعد اسم الجلالة (الله) في أعظم آية في القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

مشتقات لفظ (الرحمة)

للرحمة مشتقات كثيرة في القرآن، ومن أكثر هذه الاشتقاقات: (الرحمن) و(الرحيم). وقد وردا معًا في البسملة، وهي - كما قلنا - أعظم آية في القرآن الكريم.

و(الرحمن) صيغة مبالغة على وزن (فَعْلان) للدلالة على العموم والشمول؛ أي عموم وشمول رحمة الله تعالى لكل الناس؛ المؤمنين والكافرين والجاحدين والفاسقين... كلٌّ يكون مشمولًا لرحمة الله تعالى. يقول تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1].

غير أنّ صيغة المبالغة هنا تجري على نحو الحقيقة وليست على نحو المجاز كما في أكثر موارد استعمال صيغ المبالغة.

و(الرحيم) صيغة مبالغة من (فَعِيل) للدلالة على الثبات والدوام؛ أي ثبات ودوام الرحمة الإلهية، والثبات لا يكون إلا في المؤمن. يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2]. ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[3].[4]

روي عَنِ اَلصَّادِقِ عليه السلام: (الرَّحْمَنُ اسْمٌ خَاصٌّ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، وَالرَّحِيمُ اسْمٌ عَامٌّ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ)[5].

---

١. طه: ٥.

٢. الأحزاب: ٤٣.

٣. التوبة: ١١٧.

٤. راجع: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص١٨.

٥. إبراهيم الكفعمي، المصباح، ص٣١٧. يقول العلامة الطباطبائي في الميزان تعقيبًا على الرواية: «وأما كون الرحمن اسمًا خاصًا بصفة عامة، والرحيم اسمًا عامًا بصفة خاصة، فكأنه يريد به أنّ الرحمن خاص بالدنيا ويعم الكافر والمؤمن، والرحيم عام للدنيا والآخرة ويخص المؤمنين، وبعبارة أخرى: الرحمن يختص بالإفاضة التكوينية التي يعم المؤمن والكافر، والرحيم يعم التكوين والتشريع الذي بابه باب الهداية والسعادة، ويختص بالمؤمنين لأنّ الثبات والبقاء يختص بالنّعَم التي تفاض عليهم والعاقبة للتقوى". (محمد حسين

وقد روى في هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّ الله تعالى خلق مائة رحمة، فرحمة بين خلقه يتراحمون بها، وادّخر لأوليائه تسعة وتسعين)[1].

رحمة الله واسعة

رحمة الله وسعت كل شيء، ولا يوجد أوسع من رحمة الله. يقول تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[3].

﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[4].

وإذا وسعت رحمة الله كل شيء، فكيف لا تتسع رحمة الله الكافر والفاسق والمنافق؟!

إنّ رحمة الله لا تضيق بشمولها للكافر والفاسق والمنافق، ولكنهم يرفضونها. ومَثَل هؤلاء مثل الإنسان الذي يغمض عينيه عن نور الشمس وقد ملأ نورها الخافقين.

عن الإمام الجواد محمد بن علي عليه السلام: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْحَلِيمَ الْعَلِيمَ إِنَّمَا غَضَبُهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ رِضَاهُ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ عَطَاهُ، وَإِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ هُدَاهُ... وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، فَسَبَقَتْ قَبْلَ الْغَضَبِ، فَتَمَّتْ صِدْقاً وَعَدْلًا، فَلَيْسَ يَبْتَدِئُ الْعِبَادَ بِالْغَضَبِ قَبْلَ أَنْ يُغْضِبُوهُ،

الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٢٣). (من المحقق)

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ج٣، ص٩٧، ح٥٦٦٨. وقريب منه حديث ٥٦٦٧ و٥٦٦٩ و٥٦٧٠.

٢. الأعراف: ١٥٦.

٣. غافر: ٧.

٤. الأنعام: ١٤٧.

وَذَلِـكَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ وَعِلْـمِ التَّقْوَى. وَكُلُّ أُمَّةٍ قَدْ رَفَـعَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِلْمَ الْكِتَابِ حِينَ نَبَذُوهُ، وَوَلَّاهُمْ عَدُوَّهُمْ حِينَ تَوَلَّوْه)[1].

الرحمة كتبها الله على نفسه

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

لقد أوجب الله تعالى على نفسه الكريمة الرحمة تفضّلًا منه ورحمة بعباده، وتطمينًا لنفوسـهم وبشارة لهم، واسـتعادة للمعرضين منهم عن الله إلى رحاب رحمته، وأمر الله تعالى رسـوله ﷺ أن يبدأهم السلام تطمينًا لنفوسهم وبشارة لهم. وهذه الرحمة هي الرحمة الواجبة التي أوجبها الله تعالى وكتبها على نفسه الكريمة العظيمة.

ولا نعرف في كتاب الله أمرًا كتبه الله تعالى على نفسـه عدى (الرحمة)، وقد ورد ذلك في موضعين من سورة الأنعام: (٥٤) و(١٢)[3].

---

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٥٩، ح٢.

٢. الأنعام: ٥٤.

٣. أما الآية (٥٤) فقد تقدمت، وأما الآية (١٢) فهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. (من المحقق)

الرحمة كتبها الله على نفسه

أخرج الترمـذي وصححه[1]، وابن ماجة[2]، والبيهقي[3]، عن رسـول الله ﷺ: (لما خلق الله الخلق، كتب كتابًا على نفسه: إنّ رحمتي تغلب غضبي).

وأخرج عبد الرزاق[4]، وابن أبي شـيبة[5]، والبخاري[6]، عن رسول الله ﷺ: (لما خلـق الله الخلـق كتب كتابًا: إنّ رحمتي سـبقت غضبي). بمعـنى أوجب على نفسه.

وإنما كتب الله تعالى على نفســه ليطمئن عبــاده برحمته، ويعيد النافر من قلوبهم إلى رحاب التوبة والطاعة والمغفرة.

---

١. سـنن الترمذي، أبواب تفسـير القرآن، ج٥، ص٥٤٩، ح٣٥٤٣. بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حِينَ خَلَقَ الخَلْقَ، كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِـهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». (من المحقق)

٢. سـنن ابن ماجة، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامـة، ج٥، ص٣٥٣، ح٤٢٩٥. بلفظ: عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَـزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْـقَ، كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». (من المحقق)

٣. لم نعثر عليه في المصدر المذكور.

٤. عبد الرزاق الصنعاني، تفسـير القرآن، ج٢، ص٢٠٥. مع اختلاف في اللفظ: قال رسول الله ﷺ: لما قـضى الله الخلق، كتـب في كتابه عنده فـوق العرش: إنّ رحمتي سـبقت غضبي. (من المحقق)

٥. أبـو بكر بن أبي شـيبة، المصنف فـي الأحاديث والآثار، كِتَـابُ ذِكْرِ رَحْمَـةِ اللَّهِ، ج٧، ص٦٠، ح٣٤١٩٩. مـع اختلاف في اللفظ: عَنْ، أَبِـي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». (من المحقق)

٦. صحـيح البخاري، كتاب التوحيـد، بَابُ مَا جَـاءَ فِي تَخْلِيـقِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الخَلاَئِقِ، ج٩، ص١٣٥، ح٧٤٥٣. مع اختلاف في اللفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي». (من المحقق)

الرحمة سابقة

إنّ غضب الله تعالى حق، ورحمة الله حق، ولكنّ رحمته تسبق غضبه؛ بمعنى أنّ الله ابتداء يتولى عباده - جميع عباده - بالرحمة، فإذا رفضوا الرحمة ولم يتقبلوها وأعرضوا عنها، حلّ بهم الغضب. قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ﴾[1].

لقد سأل أولئك الكفار رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن ينزل عليهم العذاب استهزاءً برسول الله ﷺ، دون أن يسألوا الله العافية والرحمة.

وفي جواب استهزاء المشركين يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلىٰ ظُلْمِهِمْ﴾، وهذه هي الكلمة الأولى؛ وهي أنّ رحمة الله تعالى أقرب إليهم من غضبه؛ رغم ظلمهم وجحودهم وكفرهم.

والكلمة الثانية: إذا رفضوا ذلك وأعرضوا عن مغفرة الله ورحمته، فإنّ الله شديد العقاب ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ﴾.

إنّ القاعدة والأساس: أنّ الله تعالى يتعامل مع عباده بالرحمة، وأما الغضب والعقاب، فهو استثناء.

وإنّ (١١٣) سورة من مجموع (١١٤) سورة من القرآن الكريم تبتدئ بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وما أعظم وأجل وأكرم ما نقرأه في سورة الزمر من الرحمة الإلهيّة السابغة النازلة على المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم في معصية الله! حيث نقرأ هناك قوله تعالى: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

---

١. الرعد: ٦.

٢. الزمر: ٥٣.

الرحمة سابقة

وهذا خطاب للذين أسرفوا على أنفسهم: أن لا يستدرجهم الإسراف في الذنوب إلى القنوط من رحمة الله، فإنّ الله يغفر الذنوب جميعًا، ويخاطبهم الله بهذا الخطاب الجميل ﴿يَا عِبَادِيَ﴾، وليس المخاطب بهذا الخطاب أولياء الله وأحباؤه، وإنما المخاطب به الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصي.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

وكأنَّ الله يحثّ عباده الذين خرجوا عن طاعته بالعودة إليه، فإنّ الله يحب التوابين، والتوابون هم غير المطيعين، ولم تقل الآية: (إنّ الله يحب المطيعين)، والتوابون هم العائدون من العصيان إلى الله، والله تعالى يحب العائدين إليه.

عن رسول الله ﷺ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ تَائِبٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ تَائِبَةٍ)[2].

وعنه ﷺ: (للَّهُ أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد)[3].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَوَجَدَهَا. فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا)[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَادْخُلُوا فِي مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَالْمُؤْمِنُ تَوَّاب)[5].

---

١. البقرة: ٢٢٢.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٩.

٣. المتقي الهندي، كنز العمال، ج٤، ص٢٠٥، ح١٠١٦٥.

٤. الكليني، الكافي، باب التوبة، ج٢، ص٤٣٥، ح٨.

٥. الصدوق، الخصال، ج٢، ص٦٢٣.

ويقول تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

وهـذا الإنباء والخطاب للعاصين والمذنبين مـن عباد الله، والله تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يستعيد إليه عباده المعرضين عنه، فإنه الغفور الرحيم.

مشاهد من الرحمة الإلهية في علاقة الله بعباده في القرآن

إنّ علاقة الله بعباده الرحمة، ومن مشاهد هذه الرحمة أنه تعالى: يخلقهم، ويرزقهم، ويهديهم، ويعافيهم، ويشـفيهم، ويسـتر عليهم، ويغفر لهم ذنوبهم، ويوسـع عليهم من رحمته، ويدعوهم إلى دعائه، ويسـمع لدعائهم، ويسـتجيب لهم، ويلطف بهم، ويعفو عنهم، ويرحمهم، ويهبهم، ويكرمهم، ويعزّهم، و...

وإليك طائفة من أسماء الله وصفاته الحسنى في علاقة الله تعالى بعباده:

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[2] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾[3] ﴿قَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[4] ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾[5] ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6] ﴿غَفَّارًا﴾[7] ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[8] ﴿وَدُودٌ﴾[9] ﴿لَطِيفٌ﴾[10] ﴿ٱرْحَمْ

---

١. الحجر: ٤٩.

٢. آل عمران: ٣٨.

٣. غافر: ٣.

٤. غافر: ٣.

٥. غافر: ٣.

٦. التوبة: ٥. وغيرها الكثير من الآيات ذكرت هاتين الصفتين.

٧. نوح: ١٠.

٨. الحج: ٦٠؛ والنساء: ٤٣.

٩. هود: ٩٠.

١٠. يوسف: ١٠٠؛ والحج: ٦٣؛ ولقمان: ١٦؛ والشورى: ١٩.

الرّٰاحِمِينَ﴾[١] ﴿اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٢] ﴿خَيْرُ الرّٰاحِمِينَ﴾[٣] ﴿خَيْرُ الْغٰافِرِينَ﴾[٤] ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٥] ﴿ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعٰالَمِينَ﴾[٦] ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾[٧] ﴿ذُو رَحْمَةٍ وٰاسِعَةٍ﴾[٨] ﴿الْوَهّٰابُ﴾[٩] ﴿الْكَرِيمِ﴾[١٠] ﴿وٰاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[١١] ﴿الرَّزّٰاقُ﴾[١٢] ﴿قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[١٣].

مشاهد من الرحمة التي خلقها الله في نفوس عباده

خلق الله تعالى للإنسان زوجًا من نفسه يعيش معه، وجعل بينهما مودة ورحمة وسكنًا. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءٰايٰاتِهِۦٓ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوٰاجًا لِتَسْكُنُوٓا اِلَيْهٰا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٤].

والله تعالى يؤلّف بين قلوب المؤمنين لو أنفقوا ما في الأرض جميعًا لم يؤلفوا بين قلوبهم. قال تعالى: ﴿وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ اَنْفَقْتَ مٰا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا مآ

---

١. الأعراف: ١٥١؛ ويوسف: ٩٢ ٦٤؛ والأنبياء: ٨٣.

٢. الفاتحة: ٣؛ والبقرة: ١٦٣. بالإضافة إلى آية البسملة في بداية السور.

٣. المؤمنون: ١٠٩ و١١٨.

٤. الأعراف: ١٥٥.

٥. البقرة: ١٠٥؛ وآل عمران: ٧٤؛ والأنفال: ٢٩؛ والحديد: ٢١ و٢٩؛ والجمعة: ٤.

٦. البقرة: ٢٥١.

٧. الأنعام: ١٣٣؛ والكهف: ٥٨.

٨. الأنعام: ١٤٧.

٩. آل عمران: ٨؛ وص: ٩ و٣٥.

١٠. المؤمنون: ١١٦؛ والدخان: ٤٩؛ والانفطار: ٦.

١١. النجم: ٣٢.

١٢. الذاريات: ٥٨.

١٣. هود: ٦١.

١٤. الروم: ٢١.

اَلَّفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ اَلَّفَ بَيْنَهُمْ اِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وخلق الله الرحمة في قلب الوالدين تجاه أبنائهم وبناتهم، وخلق الرحمة في قلب الأبناء والبنات تجاه آبائهم وأمهاتهم، وخلق الرحمة في قلب الحيوانات تجاه صغارها وفراخها، وخلق الرحمة في قلوب الأرحام تجاه الصغار، وفي قلوب الناس تجاه بعضهم البعض.

روي أنه قدم على النبي ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها. فقال لنا النبي ﷺ: (أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا؛ وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها)[2].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء: (يَا مَنْ هُوَ أَبَرُّ بِي مِنَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ، وَأَقْرَبُ إِلَيَّ مِنَ الصَّاحِبِ اللَّزِيق...)[3].

وعن رسول الله ﷺ: (إنّ الله خلق مائة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأهبط رحمة واحده منها إلى الأرض؛ فبها تراحم الخلق، وبها تعطف الوالدة على ولدها، وبها تشرب الطير والوحوش من الماء، وبها تعيش الخلائق)[4].

---

١. الأنفال: ٦٣.

٢. علي بن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج٢، ص٣٢٢. مع اختلاف في اللفظ: قُدِّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيّاً فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَ أَرْضَعَتْهُ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا وَ اللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِوَلَدِهَا. (من المحقق)

٣. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩١، ص١٥٧.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ج٤، ص٢٧٣، ح١٠٤٦٤.

مشاهد من الرحمة التي خلقها الله في نفوس عباده

أخرج أحمد[1] وأبــو داود[2] عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: (جاء أعرابي فأناخ راحلته، ثم صلى خلف رسول الله ﷺ، ثم نادى: "اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا تشــرك في رحمتنا أحدًا"، فقال رسول الله ﷺ: لقد حظَرْت رحمة واسعة، إنّ الله خلق مائة رحمة، فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جِنّها وإنســها وبهائمها، وعنده تسع وتسعون).

ولو أنّ الله تعــالى ينتزع الرحمة التي أودعها في قلوب خلقه وعباده ســاعة واحدة، لما رحمت أم أولادها، ولا أب أولاده، ولا زوج زوجه، ولا صديق صديقه، ولا طبيب مريضــه، ولا كبير صغيرًا، ولا صغير كبيرًا، ولا قوي ضعيفًا، ولا غني فقيرًا، ولا عالم جاهلًا، ولا رَحِمٌ رحِمًا، ولا إنسان إنسانًا... ولتهدّمت حياة الناس مرة واحدة.

ولكــنّ الله تعالى أرحم الراحمين، يرحم عباده، ويجعل في قلوبهم الرحمة بعضهــم لبعــض، والحمــد لله رب العالمين الرحمــن الرحيم. يقــول تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[3].

فســبحان الله والحمد لله، ما هذا العطاء الذي يمتدّ ويتواصل من الله على

---

١. مســند أحمد، حديث جندب، ج٣١، ص٩٩، ح١٨٧٩٩. مــع اختلاف في اللفظ: عَنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْجُشَــمِيِّ، حَدَّثَنَا جُنْدُبٌ قَــالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَنَــاخَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ عَقَلَهَا، ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ رَسُــولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُــولُ اللهِ ﷺ، أَتَى رَاحِلَتَــهُ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهَا ثُمَّ رَكِبَهَــا، ثُمَّ نَادَى: اللهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تُشْــرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَدًا، فَقَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «أَتَقُولُونَ هَذَا أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ؟ أَلَمْ تَسْــمَعُوا مَا قَالَ؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «لَقَدْ حَظَرْتَ رَحْمَةُ اللهِ وَاسِعَةٌ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَنْــزَلَ اللهُ رَحْمَةً وَاحِدَةً يَتَعَاطَفُ بِهَا الْخَلَائِقُ، جِنُّهَا وَإِنْسُــهَا وَبَهَائِمُهَا، وَعِنْدَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، أَتَقُولُونَ هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ؟» (من المحقق)

٢. ســنن أبي داود، كتاب الحدود، باب من ليســت له غيبــة، ج٤، ص٢٧١، ح٤٨٨٥. مع اختلاف في اللفظ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُشَــمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُنْدُبٌ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ عَقَلَهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْــجِدَ فَصَلَّى خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَتَى رَاحِلَتَهُ فَأَطْلَقَهَا ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ نَادَى: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تُشْــرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَقُولُونَ هُوَ أَضَلُّ، أَمْ بَعِيرُهُ؟ أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ؟» قَالُوا: بَلَى. (من المحقق)

٣. الضحى: ٥.

عباده؛ عطاءً بعد عطاء حتى يرضون!

والقنــوط من رحمة الله من أعظم الذنوب. قال تعــالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[1].

ويقول تعــالى حكاية عــن يعقــوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

ســبحانك ربنا ما أرحمك وأكرمك وأشفقك على عبادك وخلقك! يعصونك فتدعوهم، ويعارضونك فتُقبل عليهم، ويتبغضون إليك فتتحبب إليهم، كأنّ لهم التطّول عليك.

ولنستمع إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء الافتتاح:

(فَلَمْ أَرَ مَــوْلىً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلى عَبْدٍ لَئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ، يــا رَبِّ إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ. ثُمَّ لا يَمْنَعُكَ ذٰلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بِي وَالإِحْسانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ)[3].

وإنّ الله برحمتــه بعبــاده، مــع ظلمهم وإســرافهم وإعراضهم عــن ربهم، ومقابلتهــم لرحمته وغفرانــه بالذنوب والمعاصي من دون حيــاء وخجل؛ مرة بعد أخرى، وذنبًا بعد ذنب... يُطمِع العبد في رحمته الواســعة وغفرانه، مع كل ما اقترفته يداه من الذنوب والمعاصي، ولا ييأس من دعائه وسؤاله.

استمع إلى الأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء الافتتاح مرة أخرى:

(اللَّهُــمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي، وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِــي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي، وَسِــتْرَكَ عَلى قَبِيحِ عَمَلِــي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثِيــرِ جُرْمِي، عِنْــدَ ما كانَ مِنْ خَطَأي

---

١. الحجر: ٥٦.

٢. يوسف: ٨٧.

٣. عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص٢٨٧.

وَعَمْدِي، أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلُكَ ما لاٰ أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ. فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً، لاٰ خائِفاً وَلاٰ وَجِلاً، مُدِلاًّ عَلَيْكَ فِيما قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي، لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأُمُور)[1].

والله يحب التراحم بين الناس؛ لأن الله تعالى رحمن رحيم، وهو أرحم الراحمين، خلق الرحمة بين عباده، ودعاهم إلى التراحم فيما بينهم، فهو يحب التراحم بين عباده.

عن رسول الله ﷺ: (مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَم)[2].

وعنه ﷺ: (مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللَّهُ)[3].

وعنه ﷺ: (مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحم، ومَنْ لا يَغْفِرْ لا يُغْفَر له)[4].

وعنه ﷺ: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[5].

وعنه ﷺ: (إنّ الله رحيم يحب الرحيم، يضع رحمته على كل رحيم)[6].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (من لم يرحم الناس منعه الله تعالى رحمته)[7].

والله يريد منا أن نتعرض لرحمته؛

عن رسول الله ﷺ: (إنّ لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن

---

١. المصدر نفسه.

٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٩ من أبواب المواقيت، ج٤، ص١٩٧، ح١٦.

٣. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، الباب ١٠٧ من أبواب أحكام العِشرة في السفر والحضر، ج٩، ص٥٥، ح٤.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ج٣، ص١٦٦، ح٥٩٨٦.

٥. المصدرنفسه، ص١٦٢، ح٥٩٦٧.

٦. المصدر نفسه، ج٤، ص٢٤٩، ح١٠٣٨١.

٧. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة: ١٣١٢، ص٦٥١.

يصيبكم نفحة منها، فلا تشقون بعدها أبدًا)[1].

وعنه ﷺ: (اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإنّ لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده)[2].

وعنه ﷺ: (تَعَرَّضُوا لِرَحْمَةِ اللَّهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِه)[3].

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ج٧، ص٧٦٩، ح ٢١٣٢٤.

٢. المصدر نفسه، ح ٢١٣٢٥.

٣. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر، ج٢، ص١٢٠.

المحور الثاني: منازل الرحمة الإلهية

المنازل الثلاثة لرحمة الله

رحمــة الله تعالى في كل مكان، وفي كل زمان، وفي كل شــيء، لا يخلو منها زمان ولا مكان ولا إنسان، وهي الرحمة الواسعة الشاملة العامة التي وسعت كل شيء.

ولكــن هناك منازل خصها الله تعالى بالرحمة، وتنزل عليها رحمة الله أكثر من أي زمان آخر أو مكان آخر أو موجود آخر؛ فمثلًا ورد في شهر رجب عن رسول الله ﷺ: (رَجَبٌ شَهْرُ اللَّهِ الْأَصَبُّ، يَصُبُّ اللَّهُ فِيهِ الرَّحْمَةَ عَلَى عِبَادِه)[1].

ولابد للمؤمنين من معرفة هذه المنــازل أولًا، ومراقبتها ثانيًا حتى لا يفوتهم الحضور فيها وانتهازها واغتنامها.

لذلك؛ ســوف نتحدث إن شــاء الله عن منازل الرحمة في حياة الناس نعقبه بالحديث عن مراقبة هذه المنازل.

---

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٤، ص٣٦، ح١٦.

المنازل الثلاثة للرحمة الإلهية

إنّ من أعظم منازل الرحمة على وجه الأرض في حياة الناس ثلاثة:

١. الزمان
٢. المكان
٣. الإنسان

وإليك بيان هذه المنازل الثلاثة تباعًا:

المنزل الأول: الزّمان

الرحمة الإلهية وإن كانت نازلة في كل زمان بلا استثناء، ولكن هناك مقاطع من الزمان خصها الله تعالى برحمته.

فالزمان ليس وعاءً للزمانيات - كما يقول بعض الفلاسفة - فحسب، ولو كان كذلك لم يختلف زمان عن زمان؛ والحال أننا نقرأ في كتاب الله عن ليلة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[١]. إنّ ليلة القدر ليلة كسائر الليالي، ولكنّ الله تعالى يفضّلها على ألف شهر، فلو كان الزمان وعاءً للزمانيات فقط، لما تفاوتت ليلة عن ليلة، ولا يوم عن آخر[٢].

---

١. القدر: ٣.

٢. طبعًا؛ هناك فرق بين الزمان الذي يتحدّث عنه الشيخ ﷺ هنا وبين الزمان بالاصطلاح الفلسفي، وقياس أحدهما إلى الآخر قياس مع الفارق، وبيان الفارق بينهما خارج عن محل الكلام ولا يتناسب مع المقام، وهو بحث فلسفي تخصصي يطلب من مصادره لمن لديه مقدمات علمية تمكّنه من فهم المصطلحات الفلسفية والخوض في غمارها. لكن للاطلاع يمكن مراجعة: بداية الحكمة للعلامة الطباطبائي، ص١٣١؛ ونهاية الحكمة للعلامة أيضًا، ص٢٦٨. وغيرهما.
لكن إذا أردنا أن نبسّط ذلك نقول: إنّ الاختلاف في الزمان الذي يبحث فيه الشيخ ﷺ؛ كالاختلاف بين الأيام أو بين الليالي، هو اختلاف اعتباري واختلاف في الخصوصية التي أُخذت فيه؛ أي أنّ الخصوصية المأخوذة في ذلك اليوم أو تلك الليلة - كأن تكون خيرًا من ألف شهر - إنما هي باعتبار معتبر وهو الله سبحانه وتعالى، وهو أمر عارض على الزمان وطارئ

دورة الزمان في الأشهر القمرية

يقاس الزمان عندنا بمقياسين: بدورة الأرض حول الشمس (الحركة الانتقالية للأرض)، وبدورة القمر الشـهرية... وتسمى الأولى بـ (السنة الشمسية) والثانية بـ (السنة القمرية).

وللسَّنَة القمرية أساس في القرآن، يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[1].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2].

والأشـهر الحرم الأربعة هي: (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) باتفاق الفقهاء، وهي أشهر قمرية.

وكلٌّ من السنة القمرية والسنة الشمسية منازل لبركات كثيرة من عند الله.

إلاّ أنّ السنة الشمسية تخص غالبًا البركات المادية الطبيعية في حياة الإنسان؛ كالزراعة والتجارة ونزول الأمطار وأوان الـثمار والحرّ والبرد وأمثال ذلك... فإنها جميعًا تقاس بمقاييس السـنة الشمسـية؛ مثل مواعيد زراعة الحنطة والشعير

عليه، وليس ذاتيًا له ومأخـوذًا في حدّه، وهو نظير أن يعتبر ربّ العمل أنه من يأتي إلى العمل يـوم الجمعة، فله أجر إضافي أو نرفع في درجته ورتبتـه. وإلا فالاختلاف والتغير في الزمان أمر ذاتي وتكويني في الزمان؛ حيث إنّ الزمان متصرّم ولا يكون الجزء منه إلا بعد عدم السابق وعدم اللاحق، وبالتالي هو متحرك بالحركة الفلسفية، والحركة تغيّر، والتغيّر اختلاف؛ فالآن السابق غير الآن اللاحق، واليوم السابق غير اليوم اللاحق، وهكذا... إذًا؛ حتى لو لم تؤخذ الخصوصيات الاعتبارية التي يتحدث عنها المصنّف، فـإن الاختلاف بين الأيام موجود. نعم؛ لا يوجد اختلاف من حيث تلك الخصوصيـة التي لم تؤخذ أصلًا في الزمان. ومن هنا؛ يتضح أنّ قياس ما نحن فيه إلى الزمان الفلسفي قياس مع الفارق؛ بل موضوعهما مختلف. (من المحقق)

١. البقرة: ١٨٩.

٢. التوبة: ٣٦.

والأرز والخضروات، ومواعيد قطاف ثمار الأشــجار، ومواعيد نزول الأمطار، وبرودة وحرارة الجو، والاعتدال الربيعي والخريفي...

وأما الأشــهر القمرية، فهي مواعيد نزول البركات الغيبية والعبادات؛ مثل ليلة القدر للإحياء والدعاء، وشــهر رمضان للصيام، وذي الحجة للحج، ويوم التاسع من عرفة للوقوف في عرفة، وأمثال ذلك...

ولئن كنا نعرف البركات المادية والطبيعية للسنة الشمسية بالتجربة والخبرة والممارســة، فإننا لا نعلم عن البركات الغيبية لمواعيد السنة القمرية شيئًا إلا عن طريق الوحي، وليس لنا من سبيل آخر لمعرفة منازل الرحمة خلال السنة إلا من خلال الوحي والكتاب والسنة.

الأشهر الثلاثة الفضيلة في السنة

هناك ثلاثة أشــهر في السنة القمرية فضّلها الله تعالى وخصّها بالفضل من بين باقي الشهور؛ وهي: (رجب) و(شعبان) و(رمضان).

١. شهر رجب

رُوي عن رسول الله ﷺ، قال: (أَلاَ وَإِنَّ رَجَبَ شَهْرُ اللَّهِ، وَشَعْبَانَ شَهْرِي، وَشَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ أُمَّتِي، أَلاَ وَمَنْ صَامَ مِنْ رَجَبٍ يَوْماً إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ اللَّهِ الْأَكْبَــرَ، وَأَطْفَى صَوْمُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ اَلنَّارِ، وَلَوْ أُعْطِيَ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَباً، مَا كَانَ بِأَفْضَلَ مِنْ صَوْمِهِ، وَلاَ يَسْتَكْمِلُ أَجْرَهُ بِشَــيْءٍ مِــنَ الدُّنْيَا دُونَ الْحَسَــنَاتِ إِذَا أَخْلَصَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَــلَّ، وَلَهُ إِذَا أَمْسَى دَعَوَاتٌ مُسْــتَجَابَاتٌ؛ إِنْ دَعَا شَــيْئاً فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَعْطَــاهُ اللَّهُ، وَإِلاَّ ادَّخَرَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ أَفْضَلَ مَا دَعَا بِهِ دَاعٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ)[1].

وعَــنْ الْبَاقِرِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليهم السلام، قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ صَامَ

١. الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص٢٤، ح١٢.

أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)[1].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (رَجَبٌ شَهْرُ الِاسْتِغْفَارِ لِأُمَّتِي، أَكْثِرُوا فِيهِ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنَّهُ غَفُور رَحِيم)[2].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فِي رَجَبٍ وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ أَيَّامٌ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ لِي:

يَا سَالِمُ! هَلْ صُمْتَ فِي هَذَا الشَّهْرِ شَيْئاً؟

قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ.

فَقَالَ لِي: لَقَدْ فَاتَكَ مِنَ الثَّوَابِ مَا لَمْ يَعْلَمْ مَبْلَغَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. إِنَّ هَذَا شَهْرٌ قَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ وَأَوْجَبَ لِلصَّائِمِينَ فِيهِ كَرَامَتَهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فَإِنْ صُمْتُ مِمَّا بَقِيَ شَيْئاً، هَلْ أَنَالُ فَوْزاً بِبَعْضِ ثَوَابِ الصَّائِمِينَ فِيهِ؟

فَقَالَ: يَا سَالِمُ! مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ، كَانَ ذَلِكَ أَمَاناً لَهُ مِنْ شِدَّةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَمَاناً لَهُ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ. وَمَنْ صَامَ يَوْمَيْنِ مِنْ آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ. وَمَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ، أَمِنَ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ مِنْ أَهْوَالِهِ وَشَدَائِدِهِ وَأُعْطِيَ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ[3].

وقد روى الصدوق بسند معتبر عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ فِي رَجَبٍ: "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ" مِائَةَ مَرَّةٍ وَخَتَمَهَا بِالصَّدَقَةِ، خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ)[4].

---

١. علي ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج٣، ص١٩١.

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٤، ص٣٨، ح٢٤.

٣. الصدوق، الأمالي، ص١٥، ح٧.

٤. لم نعثر عليها في كتب الشيخ الصدوق، وإنما وجدناها في مصادر أخرى نظير: إقبال الأعمال

ليلة ٢٧ من شهر رجب

رُوِيَ بِأَسَانِيدَ مُعْتَبَرَةٍ عَنِ الْإِمَامِ الْجَوَادِ عليه السلام: (أَنَّ فِي رَجَبٍ لَيْلَةً هِيَ خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، وَهِيَ لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ... وَإِنَّ لِلْعَامِلِ فِيهَا أَضْلَحَكَ اللَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا مِثْلَ أَجْرِ عَمَلِ سِتِّينَ سَنَة)[1].

وناهيك في فضل هذه الليلة أنّ العبادة فيها خير مما طلعت عليه الشمس.

٢. شهر شعبان

عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: (شَعْبَانُ شَهْرِي، مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ شَهْرِي، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّة)[2].

وعن علي بن الحسين عليه السلام، كان يقول أبي الحسين عليه السلام: (سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صام يومًا من شعبان حبًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقربًا إلى الله، أحبه الله، وقرّبه إلى كرامته يوم القيامة، وأوجب له الجنة)[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، كان يقول: (مَا فَاتَنِي صَوْمُ شَعْبَانَ مُنْذُ سَمِعْتُ مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُنَادِي فِي شَعْبَانَ، فَلَنْ يَفُوتَنِي أَيَّامَ حَيَاتِي صَوْمُ شَعْبَانَ إِنْ

لابن طاووس، ج٣، ص٢١٦. (من المحقق)

١. محمد باقر المجلسي، زاد المعاد، ص٣٤.

٢. المصدر نفسه، ص٤٥.

٣. الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص٦١. مع اختلاف في اللفظ، وإليك نص الحديث بالكامل كما أورده الصدوق: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: كَانَ أَبِي زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام إِذَا أَهَلَّ شَعْبَانَ جَمَعَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: مَعَاشِرَ أَصْحَابِي! أَ تَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ هَذَا شَهْرُ شَعْبَانَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: شَعْبَانُ شَهْرِي. أَلَا فَصُومُوا فِيهِ مَحَبَّةً لِنَبِيِّكُمْ وَتَقَرُّباً إِلَى رَبِّكُمْ فَوَ الَّذِي نَفْسُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِيَدِهِ لَسَمِعْتُ أَبِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ صَامَ شَعْبَانَ مَحَبَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَتَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَحَبَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَرَّبَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّة. (من المحقق)

شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)[1].

ليلة النصف من شعبان

سُـئِلَ الْبَاقِرُ عليه السلام عَنْ فَضْلِ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَـعْبَانَ، فَقَالَ: (هِيَ أَفْضَلُ لَيْلَةٍ بَعْـدَ لَيْلَةِ الْقَـدْرِ؛ فِيهَا يَمْنَحُ اللَّهُ الْعِبَـادَ فَضْلَهُ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ بِمَنِّـهِ، فَاجْتَهِدُوا فِي الْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، فَإِنَّهَا لَيْلَةٌ آلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِـهِ أَنْ لَا يَرُدَّ فِيهَا سَائِلًا مَا لَمْ يَسْأَلِ اللَّهِ مَعْصِيَة)[2].

٣. شهر رمضان

وهو أعظم شهور السنة على الإطلاق، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وقد روى الصدوق بسـند معتبر عَنْ أَبِي الْحَسَـنِ عَلِيِّ بْـنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام، عَـنْ أَبِيهِ مُـوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام، عَـنْ أَبِيهِ الصَّـادِقِ جَعْفَرِ بْـنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ الْبَاقِرِ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ سَـيِّدِ الشُّـهَدَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَطَبَنَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ:

أَيُّهَـا النَّاسُ! إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَـهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، شَـهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّـهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللَّهِ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ، أَنْفَاسُـكُمْ فِيهِ تَسْـبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَاب[3].

---

١. الطوسي، مصباح المتهجد، ج٢، ص٨٢٥.

٢. علي ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج٣، ص٣١٥.

٣. الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٧.

ليلة القدر

وهي أفضل ليالي السـنة على الإطلاق، ولا نزيـد فيها على ما قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[2].

التفرّغ للعبادة في أربع ليالٍ من السنة

في قرب الإسناد عَنِ السِّنْدِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عليه السلام عَنْ عَلِـيٍّ عليه السلام، قَالَ: (كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَفْرَغ الرَّجُلُ أَرْبَعَ لَيَالٍ مِنَ السَّـنَةِ: أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَلَيْلَةَ النَّحْرِ[3]، وَلَيْلَةَ الْفِطْرِ، وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَان)[4].

يوم عرفة

يوم التاسع من ذي الحجة بعد زوال الشمس (الظهر) في وادي عرفة، أفضل أيام السـنة على الإطلاق، ولا يردّ الله فيه سائلًا يسأله إلا أن يسأله معصيته، ولن يقوم أحد من هذا الوادي بعد هذه الساعات التي قضاها من يوم عرفة بعد الزوال إلا غفر الله تعالى له.

عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، قَالَ: (أَعْظَمُ أَهْلِ عَرَفَاتٍ جُرْماً مَنِ انْصَرَفَ - من عرفات - وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ)[5].

وروي أنه سَـمِعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ عَرَفَةَ سَائِلًا يَسْأَلُ النَّاسَ، فَقَالَ لَهُ: (وَيْحَكَ! أَ غَيْرَ اللَّهِ تَسْأَلُ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟! إِنَّهُ لَيُرْجَى لِمَا فِي بُطُونِ الْحَبَالَى فِي هَذَا

---

١. القدر: ٣.

٢. الدخان: ٣.

٣. ليلة عيد الأضحى.

٤. عبد الله الحميري، قرب الإسناد، ص٥٤.

٥. نعمان التميمي، دعائم الإسلام، ج١،

الْيَوْمِ أَنْ يَكُونَ سَعِيداً)[1].

وعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ: (قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا يَقِفُ أَحَدٌ عَلَى تِلْكَ الْجِبَالِ، بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَأَمَّا الْبَرّ ءفَيُسْتَجَابُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ، فَيُسْتَجَابُ لَهُ فِي دُنْيَاهُ)[2].

ليلة ونهار الجمعة

رُوِيَ عَنْ أَبِـي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ لِلْجُمُعَةِ حَقّاً وَاجِباً، فَإِيَّاكَ أَنْ تُضَيِّعَ أَوْ تُقَصِّرَ فِي شَـيْءٍ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّقَـرُّبِ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَرْكِ الْمَحَارِمِ كُلِّهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضَاعِفُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ، وَيَمْحُو فِيهِ السَّيِّئَاتِ، وَيَرْفَعُ فِيهِ الدَّرَجَاتِ، وَيَوْمُهُ مِثْلُ لَيْلَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُحْيِيَهَا بِالدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ فَافْعَلْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضَاعِفُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ، وَيَمْحُو فِيهِ السَّيِّئَاتِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاسِعٌ كَرِيمٌ)[3].

دولة الليل

لليل دولة، وللنهار دولة.

ونقصد بدولة النهار سـلطان الحق على وجه الأرض، والحكم بما أنزل الله بالحق في عبـاد الله، والسـعي إلى تحكيم شريعة الله في حيـاة الناس، ودعوة النـاس الى الله، ولا نقصد بدولة النهـار: البطر والرئاء والـغرور والطغيان الذي يمارسه أصحاب السلطان في الأرض.

ولليل دولة يجد فيها أصحاب الليل من لذة اللقاء والمناجاة وذكر الله والسجود بيـن يدي الله والتضرع والإخبات والإنابة ما لا يعرفه عامة الناس. أولئك يسـكنون إلى ذكر الله في الليل، ويجدون فيه من اللذة والراحة ما يسـلب عنهم لذيذ النوم،

---

١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٢١١، ح٢١٨٢.

٢. محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج١٧، ص١٣٥.

٣. الطوسي، مصباح المتهجد، ج١، ص٢٨٣.

فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، كما لو كان الإنسان ينام على حسك السعدان.

ومن العجب أنّ أصحاب دولة النهار هم أصحاب دولة الليل، ولا يرقَون إلى استلام دولة النهار إلا أن يكونوا من أصحاب الليل، ففي الليل يجد هؤلاء من الطمأنينة والإيمان والقوة والعزم ما يؤهّلهم لاستلام دولة النهار.

استنزال الرحمة في آناء الليل

إنّ الله تعالى جعل الليل في حياة الناس موطنًا للرحمة؛ فقد خص هذا الوقت بالتأكيد على الذكر والعبادة والصلاة والسجود وتلاوة القرآن والاستغفار...

يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[1].

والسجود والتسبيح حَسَن في كل وقت، ولكن لليل خصوصية وميزة في السجود والتسبيح ليست موجودة في النهار.

ويصف الله تعالى عباد الرحمان بأنهم يبيتون لربهم سُجّدًا وقيامًا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[2].

إنّ هذا المشهد الذي يرسمه القرآن ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ مشهد يحبه الله تعالى.

روى الشهيد الثاني في مسكّن الفؤاد:

وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ أَنَّ لِي عِبَاداً مِنْ عِبَادِي يُحِبُّونِّي وَأُحِبُّهُمْ، وَيَشْتَاقُونَ إِلَيَّ وَأَشْتَاقُ إِلَيْهِمْ، وَيَذْكُرُونِّي وَأَذْكُرُهُمْ، فَإِنْ أَخَذْتَ طَرِيقَتَهُمْ

---

١. الإنسان: ٢٦ - ٢٥.

٢. الفرقان: ٦٤ - ٦٣.

أَحْبَبْتُكَ، وَإِنْ عَدَلْتَ عَنْهُمْ مَقَتُّكَ.

فَقَالَ: يَا رَبِّ! وَمَا عَلَامَتُهُمْ؟

قَالَ يُرَاعُونَ الظِّلَالَ بِالنَّهَارِ كَمَا يُرَاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ، وَيَحِنُّونَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ كَمَا يَحِنُّ الطَّيْرُ إِلَى أَوْكَارِهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ، فَإِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ، وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ، وَفُرِشَتِ الْمَفَارِشُ، وَنُصِبَتِ الْأَسِرَّةُ، وَخَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ، نَصَبُوا إِلَيَّ أَقْدَامَهُمْ، وَافْتَرَشُوا إِلَيَّ وُجُوهَهُمْ، وَنَاجَوْنِي بِكَلَامِي، وَتَمَلَّقُونِي بِأَنْعَامِي، مَا بَيْنَ صَارِخٍ وَبَاكٍ، وَمَا بَيْنَ مُتَأَوِّهٍ وَشَاكٍ، وَبَيْنَ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَبَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ.

بِعَيْنِي مَا يَتَحَمَّلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَبِسَمْعِي مَا يَشْكُونَ مِنْ حُبِّي، أَقَلُّ مَا أُعْطِيهِمْ ثَلَاثاً:

الْأَوَّلُ: أَقْذِفُ مِنْ نُورِي فِي قُلُوبِهِمْ، فَيُخْبِرُونَ عَنِّي كَمَا أُخْبِرُ عَنْهُمْ.

وَالثَّانِي: لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرَضُونَ وَمَا فِيهِمَا فِي مَوَازِينِهِمْ لَاسْتَقْلَلْتُهَا لَهُمْ.

وَالثَّالِثُ: أُقْبِلُ بِوَجْهِي عَلَيْهِمْ. أَ فَتَرَى مَنْ أَقْبَلْتُ بِوَجْهِي عَلَيْهِ؛ أَ يَعْلَمُ مَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ؟[1]

ويشبّه الله تعالى عباده المتهجّدين الساجدين في آناء الليل، الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، كمن يتجافى جنبه عن النوم إذا كان نائمًا على أرض ذات أشواك، فإنهم ينفرون من النوم ويثبون لنافلة الليل.

يقول تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

١. زين الدين العاملي (الشهيد الثاني)، مُسكّن الفؤاد، ص١٨. يروي الشهيد الثاني هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام. (من المحقق)

٢. السجدة: ١٧ - ١٦.

ورُوِيَ عَــنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ حَسَــنَةٍ إِلَّا وَ لَهَــا ثَوَابٌ مُبَيَّنٌ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا صَلَاةَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ اسْــمُهُ لَمْ يُبَيِّــنْ ثَوَابَهَا لِعِظَمِ خَطَرِهَا)[1]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2].

وعن الشــيخ ورام بــن أبي فراس في تنبيــه الخواطر: عَنِ الصَّــادِقِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (صَلَاةُ اللَّيْــلِ مَرْضَاةُ الرَّبِّ، وَحُبُّ الْمَلَائِكَةِ، وَسُــنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَأَصْلُ الْإِيمَــانِ، وَرَاحَةُ الْأَبْدَانِ، وَكَرَاهِيَةُ الشَّــيْطَانِ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَإِجَابَةٌ لِلدُّعَاءِ، وَقَبُولُ الْأَعْمَالِ، وَبَرَكَةٌ فِي الرِّزْقِ، وَشَــفِيعٌ بَيْنَ صَاحِبِهَا وَبَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَسِــرَاجٌ فِي قَبْرِهِ، وَفِــرَاشٌ تَحْتَ جَنْبِهِ، وَجَــوَابٌ مَعَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَمُونِــسٌ وَزَائِرٌ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَــةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، كَانَتِ الصَّلَاةُ ظِلًّا فَوْقَهُ، وَتَاجاً عَلَى رَأْسِــهِ، وَلِبَاساً عَلَى بَدَنِهِ، وَنُوراً يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسِــتْراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَحُجَّةً لِلْمُؤْمِنِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَثِقْلًا فِي الْمِيزَانِ، وَجَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ، وَمِفْتَاحاً لِلْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ تَكْبِيرٌ وَتَحْمِيدٌ وَتَسْبِيحٌ وَتَمْجِيــدٌ وَتَقْدِيــسٌ وَتَعْظِيمٌ وَقِــرَاءَةٌ وَدُعَــاءٌ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَــالِ كُلِّهَا الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا)[3].

ساعة الإجابة

روى ثقــة الاسلام الكليني عــن عمر بن أذينة عن الإمام الصادق عليه السلام بســند صحيح: (إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَــاعَةً مَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْــلِمٌ يُصَلِّي وَيَدْعُــو اللَّهَ فِيهَا إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ فِي كُلِّ لَيْلَة.

---

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٨، ص٩٣،

٢. السجدة: ١٧.

٣. لــم نعثر عليه في المصدر المزبور في النســخة التي بين أيدينا طبعــة مكتبة الفقيه ١٤١٠ هـ ق، وإنما رواه المحدّث النوري في مســتدرك الوســائل نقلا عنه، ولكن كما ترى لم نعثر عليه هناك. ورواه المجلســي في بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٦١، والكفعمــي في البلد الأمين، هامش ص٧٩، ولم ينقلاه عنه. (من المحقق)

قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ؛ فَأَيُّ سَاعَةٍ هِيَ مِنَ اللَّيْلِ؟

قَالَ: إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ فِي السُّدُسِ الْأَوَّلِ مِنَ النِّصْفِ الْبَاقِي)[1].

المقام المحمود

ومن خلال نافلة الليل يعرج المؤمنون إلى (المقام المحمود) الذي عرج إليه رسول الله ﷺ من قبل. يقول تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[2].

وما أدارك ما المقام الذي يحمده الله تعالى ويَعِدُ به عبده وحبيبه ورسوله محمدًا ﷺ!

ولا ينال المؤمنون هذا المقام المحمود تبعًا لرسول الله ﷺ إلاّ بنافلة الليل والتهجّد في آناء الليل.

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام: (إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ لَه... وَمَنْ صَلَّى لَيْلَةً تَامَّةً تَالِياً لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهُ رَاكِعاً وَسَاجِداً وَذَاكِراً... يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي! انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي أَحْيَا لَيْلَةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي؛ أَسْكِنُوهُ الْفِرْدَوْسَ، وَلَهُ فِيهَا مِائَةُ أَلْفِ مَدِينَةٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَمِيعُ مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَمَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ سِوَى مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْمَزِيدِ وَالْقُرْبَةِ)[3].

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (صَلَاةُ اللَّيْلِ سِرَاجٌ لِصَاحِبِهَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ)[4].

---

١. الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٤٦، ح١٩.

٢. الإسراء: ٧٩.

٣. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص٤٣.

٤. حسن الديلمي، إرشاد القلوب، ج١، ص١٩٠.

وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ اَلْقُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ)[1].

الأسحار

وأعظم ما يكون الوقت عند الله، وأكثر ما يكون حظ المؤمن من نزول الرحمة، في الأسحار... فإنّ الأسحار من أعظم منازل رحمة الله.

وللاستغفار في الأسحار نكهة وأثر ليس في غيرها، والاستغفار على كل حال حسن وجميل يحبه الله تعالى، ولكن للاستغفار في الأسحار نكهة خاصة متميزة وموقع متميز خاص ليس لغيره. يقول تعالى في صفة المتقين: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ خالِدِينَ فِيهٰا وَاَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوٰانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبٰادِ ﴿١٥﴾ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنٰا اِنَّنٰا ءٰامَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَقِنٰا عَذابَ النّٰارِ ﴿١٦﴾ اَلصّٰابِرِينَ وَالصّٰادِقِينَ وَالْقٰانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْاَسْحٰارِ﴾[2].

وقد روى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أنه قَالَ: (مَنْ قَالَ فِي وَتْرِهِ[3] إِذَا أَوْتَرَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» سَبْعِينَ مَرَّةً وَهُوَ قَائِمٌ، فَوَاظَبَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَضَى لَهُ سَنَةٌ، كَتَبَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ وَوَجَبَتْ لَهُ الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[4].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أيضًا: (أَنَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً فِي وَقْتِ السَّحَرِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ)[5].

ويقول تعالى: ﴿اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءٰاخِذِينَ مٰا ءٰاتٰاهُمْ رَبُّهُمْ اِنَّهُمْ

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤ من أبواب ج٦، ص١٧٤، ح٢.

٢. آل عمران: ١٧ - ١٥.

٣. في صلاة الليل.

٤. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص١٧١.

٥. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٢٠.

كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّ دَعَّاءٍ، فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي السَّحَرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتَهُبُّ الرِّيَاحُ، وَتُقَسَّمُ فِيهَا الْأَرْزَاقُ، وَتُقْضَى فِيهَا الْحَوَائِجُ الْعِظَامُ)[2].

وروى الكليني عَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: خَيْرُ وَقْتٍ دَعَوْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْأَسْحَارُ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فِي قَوْلِ يَعْقُوبَ عليه السلام: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، وَقَالَ: أَخَّرَهُمْ إِلَى السَّحَرِ)[3].

المنزل الثاني: المكان

كما أنّ في الزمان مواطن خاصة لنزول رحمة الله، كذلك في المكان مواطن خاصة برحمة الله تعالى، ومن هذه المواطن:

المساجد

عن رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه: (يا أبا ذر! إنّ الله تعالى يعطيك، ما دمت جالسًا في المسجد، بكل نَفَس تنفست درجة، وتصلي عليك الملائكة، وتمحى عنك عشر سيئات)[4].

---

١. الذاريات: ١٨ - ١٥.

٢. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص١٦١.

٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٧٧، ح٦.

٤. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر، ج٢، ص٦١. مع اختلاف في اللفظ: (يَا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِيكَ، مَا دُمْتَ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ، بِكُلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسُ فِيهِ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ، وَتُصَلِّي عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةُ، وَيُكْتَبُ لَكَ بِكُلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسُ فِيهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَتُمْحَى عَنْكَ عَشْرُ سَيِّئَات). (من المحقق)

وعَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِإِتْيَانِ الْمَسَاجِدِ، فَإِنَّهَا بُيُــوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَمَنْ أَتَاهَا مُتَطَهِّراً، طَهَّــرَهُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَكُتِبَ مِنْ زُوَّارِهِ، فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالدُّعَاء)[1].

وادي عرفة

روى الكليني في الكافي بســند معتبر عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (سَــأَلَهُ رَجُلٌ فِي اَلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ:

مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ وِزْراً؟

فَقَالَ: مَــنْ يَقِفُ بِهَذَيْــنِ الْمَوْقِفَيْــنِ عَرَفَةَ وَاَلْمُزْدَلِفَةِ، وَسَــعَى بَيْــنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، ثُمَّ طَافَ بِهَذَا اَلْبَيْتِ وَصَلَّى خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وِزْراً)[2].

الحَرَمان الشريفان

روى ابــن قولويه في كامل الزيارات بســنده عَنْ مُــرَازِمٍ، قَالَ: سَــأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ، وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ فِــي مَسْــجِدِي)[3]. (١٠٠٠٠٠٠ =١٠٠٠×١٠٠٠ صلاة)؛ أي أنّ الصلاة في المســجد الحرام تعادل مليون صلاة في غيره.

وروى أيضًــا عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ أَبُــو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ: (أَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّهُ [فإنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله] قَالَ: صَلَاةٌ فِي مَسْــجِدِي هَذَا كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدٍ غَيْرِهِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَإِنَّ صَلَاةً فِي

١. الصدوق، الأمالي، ص٣٥٩.

٢. الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٤١.

٣. ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢١.

مَسْجِدِ الْحَرَامِ تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي)[1].

مرقد أمير المؤمنين عليه السلام

روى الشيخ الطوسي بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام، قال: (من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفًا بحقه وهو يعترف بإمامته... بُعث من الآمنين، وهُوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة)[2].

المسجد الجامع بالكوفة

روى ابن قولويه في كامل الزيارات عَنْ نَجْمِ بْنِ حُطَيْمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، لَأَعَدُّوا لَهُ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيد)[3].

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات أيضًا عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، قَالَ:

١. المصدر نفسه.

٢. المروي عن الشيخ الطوسي بهذا السند قريب منه؛ حيث لم ترد فيه عبارة (وهو يعترف بإمامته). وإليك نصّ ما رواه الشيخ الطوسي: (مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ، غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ، وَلَا مُتَكَبِّرٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَغَفَرَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبُعِثَ مِنَ الْآمِنِينَ، وَهُوِّنَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ). الأمالي للطوسي، ص٢١٤.
لكن رواه العلامة المجلسي بعبارة قريبة من هذه العبارة بسند صحيح أيضًا: (مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ وَأَنَّهُ الْإِمَامُ الْمُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِلَا فَصْلٍ، غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ، وَلَا مُتَكَبِّرٍ عَلَى زِيَارَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْتُبُ لَهُ أَجْرَ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَيَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيَحْشُرُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْآمِنِينَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَ يُسَهِّلُ حِسَابَهُ، وَ تَسْتَقْبِلُهُ الْمَلَائِكَةُ). محمد باقر المجلسي، زاد المعاد، ص٤٥٣.
ولعل هذه العبارة إضافة من العلامة المجلسي رحمه الله والشيخ الآصفي حفظه الله توضيحًا لعبارة (عارفًا بحقه)؛ حيث لم تُذكر هذه العبارة في المصادر الأخرى التي نقلت هذا الحديث حتى في البحار. والأمر سيّان كما لا يخفى. (من المحقق)

٣. ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٨.

كُنْتُ عِنْـدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَدَخَـلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَسَـلَّمَ وَجَلَسَ، فَقَـالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَأَنَا لَكَ مُحِبٌّ مُوَالٍ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَ تُصَلِّي فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ كُلَّ صَلَاتِكَ؟

قَالَ الرَّجُلُ لَا.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّكَ لَمَحْرُومٌ مِنَ الْخَيْرِ[1].

وروى أيضًا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَـعِيدٍ عَنْ ظَرِيفِ بْنِ نَاصِحٍ عَنْ خَالِدٍ الْقَلَانِسِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: (الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ)[2].

مسجد السهلة

روى ابـن قولويه في كامل الزيارات عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَـنِ بْـنِ مَهْزِيَارَ عَنْ أَبِيـهِ عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيـسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ مَالِكِ بْنِ ضَمْرَةَ الرَّوَّاسِيِّ [الْعَنْبَرِيِّ]، قَالَ: قَالَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَ تَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ[3] الَّذِي فِي ظَهْرِ دَارِكَ تُصَلِّي فِيهِ؟

فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ ذَاكَ مَسْجِدٌ تُصَلِّي فِيهِ النِّسَاءُ [النِّسَاءُ].

فَقَالَ لِي: يَا مَالِكُ ذَاكَ مَسْجِدٌ مَا أَتَاهُ مَكْرُوبٌ قَطُّ فَصَلَّى فِيهِ فَدَعَا اللَّهَ إِلَّا فَرَّجَ

---

١. المصدر نفسه، ص٣٠.

٢. المصدر نفسه، ص٣١.

٣. الظاهر أنّ المقصود من المسـجد هنا مسجد السـهلة، فقد روى ابن المشهدي هذه الرواية في باب ما ورد من الفضل في مسـجد السـهلة. راجع: محمد بن المشـهدي، المزار الكبير، ص١٣٣. وفي الباب روايات أخرى في المقام، فراجع هناك. (من المحقق)

اللَّهُ عَنْهُ وَأَعْطَاهُ حَاجَتَهُ[1].

الحائر الحسيني

هو المكان الذي حار الماء فيه عند قبر الإمام الحسين عليه السلام - كما ذكر الشهيد في الذكرى[2] - عندما أمر المتوكل العباسي بإطلاق الماء عليه وكربه لإخفاء معالم القبر الشريف، ومنع الناس عن زيارته، فلما بلغ الماء هذا الموضع، حار الماء عنده ولم يتقدم[3].

وموقع هذا الموضع أطراف القبر الشريف والحرم المحيط به وجزء من الصحن المحيط بالحرم.

ولهذا الموقع فضل عظيم وقيمة كبيرة عند الله:

روى ابن قولوية بسند صحيح عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: (مَوْضِعُ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام مُنْذُ يَوْمَ دُفِنَ فِيهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ. وَقَالَ: مَوْضِعُ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تُرْعَةٌ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ)[4].

وروى أيضًا أنّ أبا الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام مرض، فطلب من أبي هاشم الجعفري أن يذهب إلى الحائر الحسيني في كربلاء فيدعو له بالشفاء. يقول أبو هاشم الجعفري، فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر؟!

---

١. المصدر نفسه، ص٣٢.

٢. محمد بن مكي العاملي، ذكرى الشيعة، ص١٧٩.

٣. الحائر لغةً هو: المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف عن الأرض، أو الموضع المطمئن المرتفع الأطراف، وإنما سمي حائرًا لأن الماء يتحير فيه يرجع أقصاه إلى أدناه. راجع: لسان العرب، وكتاب العين، ولسان اللسان، والمنجد في اللغة، مادة: حور، حير. (من المحقق)

٤. ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٢٧١.

فدخلت عليه، فلما أردت القيام قال لي: اجلس. فلما رأيته أنس بي ذكرت له قـول علي بن بلال، فقال لي: ألا قلت له إنّ رسـول الله ﷺ كان يطوف بالكعبة ويقبّـل الحجر، وحرمة النبـي والمؤمن أعظم من حرمة الكعبـة، وأمره الله أن يقف بعرفة.

إنما هي مواطن يحـب الله أن يذكر فيها، فأنا أحب أن يُدعى لي حيث يحب الله أن يُدْعى فيها، والحائر الحسيني من تلك المواضع[1].

وقـد رُوي أنّ الله عوض الحسـين عليه السلام من قتله أن جعـل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره[2].

وروي أيضًا: (وَأَنْ لَا يُعَدَّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ مِنْ أَعْمَارِهِمْ)[3].

---

١. المصدر نفسـه، ص٢٧٣. مع اختلاف في اللفظ: عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَـنِ عليه السلام فِي مَرَضِهِ وَإِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ، فَسَبَقَنِي إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَا زَالَ يَقُولُ ابْعَثُوا إِلَى الْحَائِرِ.
فَقُلْـتُ لِمُحَمَّـدٍ: أَلَا قُلْتَ أَنَا أَذْهَبُ إِلَى الْحَائِرِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْـهِ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ أَنَا أَذْهَبُ إِلَى الْحَائِرِ.
فَقَالَ: انْظُرُوا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّداً لَيْسَ لَهُ سِرٌّ مِنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ.
قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَلِيِّ بْنِ بِلَالٍ، فَقَالَ: مَا كَانَ يَصْنَعُ بِالْحَائِرِ وَهُوَ الْحَائِرُ؟!
فَقَدِمْتُ الْعَسْكَرَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ حِينَ أَرَدْتُ الْقِيَامَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَنِسَ بِي ذَكَرْتُ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ بِلَالٍ.
فَقَالَ لِي: أَلَا قُلْتَ لَهُ إِنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْـتِ وَيُقَبِّلُ الْحَجَرَ وَحُرْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِنْ حُرْمَةِ الْبَيْتِ! وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ بِعَرَفَةَ!
إِنَّمَـا هِيَ مَوَاطِنُ يُحِـبُّ اللَّهُ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يُدْعَى لِي حَيْـثُ يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُدْعَى فِيهَا، وَالْحَائِرُ [الْحَيْرُ] مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ. (من المحقق)

٢. مضمون حديث رواه في عدة الداعي من دون إسناد هذا نصه: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَوَّضَ الْحُسَـيْنَ عليه السلام مِنْ قَتْلِهِ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ: جَعَلَ الشِّـفَاءَ فِـي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَـاءِ تَحْتَ قُبَّتِهِ، وَالْأَئِمَّةَ مِـنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَأَنْ لَا يُعَدَّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ مِنْ أَعْمَارِهِم. (أحمد بن فهد، عدة الداعي، ص٥٧). (من المحقق)

٣. أحمد بن فهد، عدة الداعي، ص٥٧.

المنزل الثالث: الإنسان

الإنسان من منازل رحمة الله وكرمته، وعندما نقول الإنسان، نقصد به الإنسان الذي يقيم وجهه للدين الحنيف الذي فطر الله تعالى الناس عليه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فإذا انحرف الإنسان عن هده الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها وهداه إليها بأنبيائه ورسله وكتبه، وأشرك بالله وظلم، وأفسد في الأرض، وفَقَد ما آتاه الله في قلبه من البصيرة والسمع، وما آتاه الله تعالى من العقل والوعي، فهو دابة كسائر الدواب على الأرض؛ بل شرها ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2].

وليس هو الإنسان الذي أكرمه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3].

فإذا فقد خلافة الله في الأرض، وخان الأمانة التي تحمّلها عندما أبت السماوات والأرض من أن يحملنها، فليس من (الإنسان) في شيء، وإنما كان الظلوم الجهول الذي ظلم نفسه، فخسر ما آتاه الله تعالى من مواهب رحمته، وجَهِل قيمته عند الله.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[4].

---

١. الروم: ٣٠.

٢. الأنفال: ٢٢.

٣. البقرة: ٣٠.

٤. الأحزاب: ٧٢.

فإذا استقام الإنسان على هدى الله وخط الفطرة، وأقام الصلاة، ونهض بدور خلافة الله في الأرض، وأدّى الأمانة التي عهد بها الله تعالى إليه، فهو من منازل رحمة الله وكرامته ومن أعظم منازل رحمة الله، وهو أشرف من الكعبة التي شرفها الله تعالى تشريفًا عظيمًا.

ري أنَّ رسول الله ﷺ كان يطوف بالكعبة وهو يقول: (قد شّرفك الله وعظّمك، والمؤمن أعظم حرمة منك)[1].

ولَمَّا افْتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهَا بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: (أَنْتِ حَرَامٌ، مَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! وَأَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ الْمُؤْمِنُ)[2].

ولقد كرّم الله تعالى الإنسان بما وهبه من المواهب الكريمة والشريفة والعظيمة، فهو عند الله من منازل رحمته وكرمه.

ومن أعظم ما وهب الله تعالى الإنسان من كريم المواهب:

الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والتقوى، والورع، والعمل الصالح، والاستقامة على الحق، والذكر، والصلاة، والسجود، وقراءة القرآن، والفقر، والحاجة، والدعاء، والاضطرار إلى الله، والاستغفار، والتوبة، والشَّيبة في الإسلام، واجتماع المؤمنين...

ومواهب أخرى منحها الله تعالى للإنسان لا يسعنا إحصاؤها في هذا المقال، وكل هذه المواهب تستنزل رحمة الله تعالى في حياة الناس، أعدّها الله كمحطات للإنسان ليطلب عندها رحمته تعالى وكرمه.

وإليك التذكير بهذه المواهب التي تستنزل رحمة الله تعالى على الإنسان على نحو الإجمال:

---

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص١٧٤، ح٨١٧.

٢. نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد، ج١، ص٨١، ح٢٦٤.

الإيمان

الإيمان؛ مـن المحطات التـي وهبها الله وتوجب اسـتنزال رحمته في حياة الانسـان. يقـول تعـالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[1].

يعلّمنـا الله تعـالى أن نتوسـل إليـه بإيماننا به تعالى ونسـتنزل بـه بركاته ورحمته؛ فقد سمعنا رسول الله ﷺ ينادي بالإيمان فآمنا. وقد وعدَنا ربنا، إذا آمنا، أن يغفر لنا ذنوبنا، ويسـتر عيوبنا وسـيآتنا، ويلحقنا بالصالحين. ووعدنا الله، إن آمنا، أن يرزقنا ما وعدنا على لسـان أنبيائه من نصر ورزق وتمكين وسلطان على وجه الأرض، وغفران ورضوان في الآخرة.

ثم تقول في نهاية هذا التوسل ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

إذًا؛ الإيمان مُنزل لكثير من البركات في حياة الأنسان.

التوحيد

مما يُستنزل به رحمة الله: التوحيد

وكلمة (لا إله إلا الله) من أعظم مُنزلات بركاته ورحمته في حياة الإنسان.

عـن عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحٍ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام حِينَ رَحَلَ مِنْ نَيْسَـابُورَ وَهُوَ رَاكِبٌ بَغْلَةً شَـهْبَاءَ؛ فَـإِذَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَرْثِ وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ تَعَلَّقُوا بِلِجَـامِ بَغْلَتِهِ فِي الْمَرْبَعَةِ، فَقَالُوا: بِحَقِّ آبَائِـكَ الطَّاهِرِينَ حَدِّثْنَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِيكَ، فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْعَمَّارِيَّةِ وَعَلَيْهِ مِطْرَفُ خَزٍّ ذُو وَجْهَيْنِ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي الْعَبْـدُ الصَّالِحُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِـي أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ

١. آل عمران: ١٩٤ - ١٩٣.

مُحَمَّدٍ، قَـالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو جَعْفَرِ بْنُ عَلِيٍّ بَاقِرُ عُلُـومِ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: سَـمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: سَمِعْتُ جَبْرَئِيـلَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ جَـلَّ جَلَالُهُ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَـا فَاعْبُدُونِي، مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ دَخَلَ فِي حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ فِي حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي[1].

وعَنِ الصَّادِقِ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ عَنْ النَّبِـيِّ صلى الله عليه وآله، قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: مَنْ كَانَ عِصْمَتُهُ شَـهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النِّعْمَـةَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ ذَنْباً قَالَ: أَسْـتَغْفِرُ اللَّهَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ)[2].

والحديث دقيق: (مَنْ كَانَ عِصْمَتُهُ شَـهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ ويعني ذلك أنّ شهادة أن لا إله إلا الله تعصمه عن الذنوب والمعاصي.

وعَـنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (الْمُوجِبَتَانِ: مَنْ مَاتَ يَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ] دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْـرِكُ بِاللَّهِ دَخَلَ النَّار)[3].

الإخلاص

وهو أن يخلص الإنسان عمله لله تعالى.

وللإخلاص بركات عظيمة في حياة الانسـان، يسـتنزل به صاحبه رحمة الله وكرامته وفضله.

---

١. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٣٤.

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٠، ص٢٠٣.

٣. الصدوق، التوحيد، ص٢٠.

في عيون أخبار الرضا بسنده المتصل، قال: عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام، قَالَ: (سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليه السلام عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ)[1].

وروى ابن فهد الحلي في عدة الداعي مرسلًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: (مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، فَجَّرَ اللَّهُ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ)[2].

والكلمات الواردة في الأحاديث في هذا الشأن دقيقة تفتح على الإنسان آفاقًا من التفكير لا يسعنا الآن أن نتوقف عندها، وإليك الخلاصة:

١. إنّ الله تعالى أودع في قلب الإنسان ينابيع وخزائن من الوعي والبصيرة والحكمة.

٢. والإخلاص يفجر هذه العيون والينابيع، ويجفّفها الشّرك والرياء والبَطر والإعراض عن الله.

٣. فإذا تفجرت ينابيع الحكمة والوعي والبصيرة في قلب الإنسان، جرت عندئذ على لسانه، كما يتدفق الماء من جوف الأرض فيجري على سطحها، فتخضرّ به الأرض وتعشوشب، وتعطي الثمار الطيبة المباركة؛ كذلك تجري الحكمة على لسان المخلصين، فتعمر بها حياة الناس، وتصلح بها دنياهم وآخرتهم.

وفي القرآن نجد في هذا السياق كلمتين:

المخلِصون (بكسر اللام) والمخلَصون (بفتح اللام): والمخلِصون (بالكسر) هم الذين يخلصون أعمالهم لله، والمخلَصون (بالفتح) هم الذين

١. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٦٩.

٢. أحمد بن فهد، عدة الداعي، ص٢٣٢.

صفت لهم أنفسهم من درَنَ الشرك والرياء والانشغال بغير الله، فهؤلاء خالصون ومخلصــون... وهذه مرحلة خلوص الأنفس لله، وهي تأتي في الرتبة بعد مرحلة خلوص العمل لله.

ولهذا الخلوص بركات وآثار عظيمة في حياة الإنسان يذكرها القرآن، من هذه البركات:

أولًا: أنهم لا يحضرون للحســاب عندما يُحضِر الله عباده جميعًا للحســاب. يقول تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

ثانيًا: أنّ كل ما يرزق الله عباده من رزق ونعيم في الجنة يتناسب مع أعمالهم، ولست أقول يساوي أعمالهم؛ فيثيبهم الله بأعمالهم، ويرزقهم في درجات الجنة بتناســب أعمالهم؛ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، فإنّ الله تعالى يعطيهم بمقاييس وموازيــن أخرى غير موازين أعمالهــم، وهو ما يخفى عــلى تصوراتنا المحدودة فــي هذه الدنيــا. يقــول تعــالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

ثالثًا: يتحرر أصحاب الخلوص من كل سلطان للشيطان بشكل مطلق، فلا يتمكن الشــيطان من أن يدنو منهم، ولا يبقى له فيهم مطمع على الإطلاق، فإنّ ســلطان الشــيطان على الناس بقدر ما يشوب قلوبهم من الشــرك ودَرَن الدنيا والأعمال، فإذا خلصت نفوسهم من كل وليجة شِرك أو دَرَن، فلا يبقى للشيطان نفوذ وسلطان على قلوبهم إطلاقًا.

ونقرأ في القرآن قَسَــمًا وعهدًا لإبليس لعنه الله أن يُغْوي الناس جميعًا، ولم يستثن من هذا الإغواء الواسع إلا عباد الله المخلَصين (بالفتح):

---

١. الصافات: ١٢٨ - ١٢٧.

٢. الصافات: ٤٠ - ٣٩.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

التقوى والورع

من أعظم ما يُستنزل به رحمة الله، التقوى والورع عن محارم الله، والالتزام بحدود الله تعالى.

ونقرأ في كتاب الله تعالى في سورة الطلاق:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[3].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[4].

ونقرأ في سورة الأعراف:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[5].

ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلام خاطب به أبا ذر رضي الله عنه عندما أبعده عثمان إلى الربذة، عندما كان من أمر أبي ذر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشام والحجاز ما كان، مما أزعج القوم المبذرين في أموال بيت المال، فأبعده عثمان إلى الربذة، فودعّه أمير المؤمنين عليه السلام وولداه الحسن والحسين عليهما السلام وبعض أصحابه، فقال له عليه السلام:

---

١. ص: ٨٣ - ٨٢.

٢. الطلاق: ٣ - ٢.

٣. الطلاق: ٤.

٤. الطلاق: ٥.

٥. الأعراف: ٩٦.

(يَـا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنَّـكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَـارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَـهُ، إِنَّ الْقَـوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُـمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِـمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً وَالْأَكْثَرُ حُسَّداً، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجا)[1].

إنّ العبـد إذا اتـقى الله تعالى، فإنّ الله تعالى يفرج عنـه الأزمات، ولا يقع في طرق مسدودة في حياته إلا ويفتحها الله له، ويجعل له من أمره فرجًا ومخرجًا.

العمل الصالح

العمل الصالح؛ مما يُسـتنزل به رحمة الله في حياة الإنسـان، وهو يرفع عنه الخوف والحزن يوم يخاف الناس ما هـم مقبلون عليه، ويحزنون على ما فاتهم من فرض التقـوى والذّكر والعمل الصالـح. قال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

وقـد وعد الله عباده أن يرزقهـم الحياة الطيبة في الدنيـا والآخرة، ويجزيهم أجرهم بأحسـن ما كانوا يعملون. قال تعـالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

ويرزقهم الله تعالى أحسن الجزاء، وييسر لهم القول والحساب يوم القيامة. قال تعـالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[4].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٠، من كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة، ص١٥٠.

٢. البقرة: ٦٢.

٣. النحل: ٩٧.

٤. الكهف: ٨٨.

ويغفـر الله الذنوب للذين آمنوا وعملـوا الصالحـات: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[1].

وأعظـم من ذلـك كلـه أنّ الله تعالى يبـدل سـيئات الذين آمنـوا وعملوا الصالحات الى حسنات، إذا تابوا.

وقد جعل للتوبة هذا الأثر التغييري العجيب في تبديل السيئات إلى الحسنات:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

الاستقامة على الحق

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3].

الذِّكر

إنّ أول ما يرزق الله تعالى الذاكرين أن يذكرهم الله، وهنيئًا لمن يذكرهم الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[4].

ويفلح مـن يتـزكى ويذكـر الله تعـالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[5].

وذِكْر الله يبعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم

---

١. طه: ٨٢.

٢. الفرقان: ٧٠.

٣. فصلت: ٣٠.

٤. البقرة: ١٥٢.

٥. الأعلى: ١٥ - ١٤.

بِذِكْرِ اللّٰهِ ۗ اَلا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وأعد الله تعالى للذاكرين والذاكرات مغفرة وأجـرًا عظيمًا: ﴿وَالذّٰاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيرًا وَالذّٰاكِرٰاتِ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَاَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

الصلاة

إنّ الصلاة عبارة عن لقاء العبد بالله تعالى.

ومن يقم الصلاة يكسب محبة الله، ويستر الله عليه عيوبه وسيئاته، ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار:

﴿وَقٰالَ اللّٰهُ اِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ اَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ وَءٰاتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ وَءٰامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَاَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَلَاُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ﴾[3].

والصلاة تذهب بالسيئات. قال تعالى: ﴿وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهٰارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ اِنَّ الْحَسَنٰاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئٰاتِ ذٰلِكَ ذِكْرٰى لِلذّٰاكِرِينَ﴾[4].

و﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَاَقٰامُوا الصَّلٰوةَ وَاَنْفَقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدّٰارِ﴾[5].

والصلاة تقي صاحبها السيئات. قال تعالى: ﴿وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ اِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشٰٓاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[6].

---

١. الرعد: ٢٨.

٢. الأحزاب: ٣٥.

٣. المائدة: ١٢.

٤. هود: ١١٤.

٥. الرعد: ٢٢.

٦. العنكبوت: ٤٥.

ولكل فريضة دعاء مستجاب كما عن رسول الله ﷺ: (مَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَة)[1].

في خصال الصدوق بسنده المتصل عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ ﷺ: الصَّلَاةُ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَفِيهَا مَرْضَاةُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مِنْهَاجُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلِلْمُصَلِّي حُبُّ الْمَلَائِكَةِ، وَهُدًى، وَإِيمَانٌ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَبَرَكَةٌ فِي الرِّزْقِ، وَرَاحَةٌ لِلْبَدَنِ، وَكَرَاهَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْكَافِرِ وَإِجَابَةٌ لِلدُّعَاءِ، وَقَبُولٌ لِلْأَعْمَالِ، وَزَادٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَشَفِيعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَأُنْسٌ فِي قَبْرِهِ، وَفِرَاشٌ تَحْتَ جَنْبِهِ، وَجَوَابٌ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

وَتَكُونُ صَلَاةُ الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَحْشَرِ تَاجاً عَلَى رَأْسِهِ، وَنُوراً عَلَى وَجْهِهِ، وَلِبَاساً عَلَى بَدَنِهِ، وَسِتْراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَحُجَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَنَجَاةً لِبَدَنِهِ مِنَ النَّارِ، وَجَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ، وَمِفْتَاحاً لِلْجَنَّةِ، وَمُهُوراً لِحُورِ الْعِينِ، وَثَمَناً لِلْجَنَّةِ. بِالصَّلَاةِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَحْمِيدٌ وَتَكْبِيرٌ وَتَمْجِيدٌ وَتَقْدِيسٌ وَقَوْلٌ وَدَعْوَةٌ[2].

وعنه ﷺ: (الصلاة عمود الدين، وفيها عشر خصال: زين الوجه، ونور القلب، وراحة البدن، وأُنس القبور، ومنزل الرحمة، ومصباح السماء، وثقل الميزان، ومرضاة الرب، وثمن الجنة، وحجاب من النار، ومن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين)[3].

وعن رسول الله ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكاً يُسَمَّى سَخَائِيلَ يَأْخُذُ الْبَرَوَاتِ لِلْمُصَلِّينَ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ جَلَالُهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَقَامُوا وَتَوَضَّئُوا وَصَلَّوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ، أَخَذَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَرَاءَةً لَهُمْ، مَكْتُوبٌ

---

١. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٨.

٢. الصدوق، الخصال، ج٢، ص٥٢٢.

٣. علي المشكيني، تحرير المواعظ العددية، ص٥١٩.

فِيهَـا: أَنَا اللَّهُ الْبَاقِي؛ عِبَادِي وَإِمَائِي فِي حِرْزِي جَعَلْتُكُمْ وَفِي حِفْظِي وَتَحْتَ كَنَفِي صَيَّرْتُكُمْ، وَعِزَّتِي لَا خَذَلْتُكُمْ، وَأَنْتُمْ مَغْفُورٌ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ إِلَى الظُّهْرِ.

فَـإِذَا كَانَ وَقْـتُ الظُّهْرِ فَقَامُوا وَتَوَضَّئُـوا وَصَلَّوْا، أَخَذَ لَهُمْ مِـنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَـرَاءَةَ الثَّانِيَـةَ، مَكْتُوبٌ فِيهَـا: أَنَا اللَّهُ الْقَادِرُ؛ عِبَـادِي وَإِمَائِي بَدَّلْتُ سَـيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ، وَغَفَرْتُ لَكُمُ السَّيِّئَاتِ، وَأَحْلَلْتُكُمْ بِرِضَايَ عَنْكُمْ دَارَ الْجَلَالِ.

فَإِذَا كَانَتْ وَقْتُ الْعَصْـرِ فَقَامُوا وَتَوَضَّئُوا وَصَلَّوْا، أَخَذَ لَهُـمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَرَاءَةَ الثَّالِثَةَ، مَكْتُوبٌ فِيهَا: أَنَا اللَّهُ الْجَلِيلُ، جَلَّ ذِكْرِي، وَعَظُمَ سُـلْطَانِي؛ عَبِيدِي وَإِمَائِي حَرَّمْتُ أَبْدَانَكُمْ عَلَى النَّارِ، وَأَسْـكَنْتُكُمْ مَسَـاكِنَ الْأَبْـرَارِ، وَدَفَعْتُ عَنْكُمْ بِرَحْمَتِي شَرَّ الْأَشْرَارِ.

فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْمَغْـرِبِ فَقَامُوا وَتَوَضَّئُوا وَصَلَّوْا، أَخَذَ لَهُـمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْبَـرَاءَةَ الرَّابِعَةَ، مَكْتُـوبٌ فِيهَا: أَنَا اللَّهُ الْجَبَّـارُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَـالِ؛ عَبِيدِي وَإِمَائِي صَعِدَ مَلَائِكَتِي مِنْ عِنْدِكُمْ بِالرِّضَـا وَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أُرْضِيَكُمْ وَأُعْطِيَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْيَتَكُمْ.

فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْعِشَـاءِ فَقَامُـوا وَتَوَضَّئُوا وَصَلَّوْا، أَخَذَ مِـنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمُ الْبَرَاءَةَ الْخَامِسَـةَ مَكْتُـوبٌ فِيهَا: إِنِّي أَنَـا اللَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي، وَلَا رَبَّ سِـوَايَ؛ عِبَادِي وَإِمَائِي فِـي بُيُوتِكُمْ تَطَهَّرْتُـمْ، وَإِلَى بُيُوتِي مَشَـيْتُمْ، وَفِي ذِكْـرِي خُضْتُمْ، وَحَقِّي عَرَفْتُمْ، وَفَرَائِضِي أَدَّيْتُمْ، أُشْهِدُكَ يَا سَخَائِيلُ وَسَائِرَ مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْهُمْ، قَالَ: فَيُنَادِي سَـخَائِيلُ بِثَلَاثَةِ أَصْوَاتٍ كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ: يَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ غَفَرَ لِلْمُصَلِّينَ الْمُوَحِّدِينَ، فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ إِلَّا اسْتَغْفَرَ لِلْمُصَلِّينَ وَدَعَا لَهُمْ بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِك[1].

١. الصدوق، الأمالي، ص٦٧.

السجود

ورد في الرواية أنّ رسـول الله ﷺ أقبل على أسامة بن زيد، فقال: (يَا أُسَامَةُ! عَلَيْكَ بِالسُّـجُودِ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِذَا كَانَ سَـاجِداً، وَمَا مِنْ عَبْدٍ سَـجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَـنَةً، وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَبَاهَى بِهِ مَلَائِكَتَه)[1].

وعن الإمام الرضـا عليه السلام: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَـاجِدٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾)[2].

وإذا كان الإنسـان أقرب ما يكون إلى الله تعالى في السجود، فعليه أن يطيل السجود.

روى الشيخ الطوسي كما في الأمالي عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إن قومًا أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ﷺ! اِضمن لنا على ربك الجنة. قال: فقال: على أن تضمنوا لي طول السجود)[3].

وروى ثقة الاسلام الكليني في الكافي بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ وَهُوَ يُعَالِجُ بَعْضَ حُجُرَاتِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَ لَا أَكْفِيكَ؟

فَقَالَ: شَأْنَكَ.

فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَاجَتُكَ؟

---

١. أحمد بن فهد الحلي، التحصين في صفات العارفين، ص٢٠.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٧.

٣. الطوسـي، الأمالي، ص٢٦٤. مع اختلاف في اللفظ: عَنْ هِشَـام، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: إِنَّ قَوْماً أَتَوْا رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اضْمَنْ لَنَا عَلَى رَبِّكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: فَقَالَ: عَلَى أَنْ تُعِينُونِي بِطُولِ السُّجُود. (من المحقق)

قَالَ: الْجَنَّةُ.

فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ.

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَعِنَّا بِطُولِ السُّجُود[1].

وإذا كان الإنسان أقرب ما يكون إلى الله في سجوده، فعليه بالدعاء والرجاء والسؤال من الله في السجود.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام تَفَرُّقَ أَمْوَالِنَا وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: (عَلَيْكَ بِالدُّعَاءِ وَأَنْتَ سَاجِدٌ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ سَاجِد)[2].

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَادْعُ اللَّهَ وَاسْأَلْهُ الرِّزْقَ)[3].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَدْعُو وَأَنَا رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ؟

قَالَ: فَقَالَ: (نَعَمْ؛ ادْعُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، ادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ)[4].

يقول المولى العارف قرة عيون العارفين الملكي التبريزي رضي الله عنه في كتاب (المراقبات):

(قد مضى في أخبار فضائل الشهر إيصاء النبي ﷺ بطول السجود، وهو أمر مهمّ، وهو أقرب هيئات العبودية، ولذا جُعل في كل ركعة مرتان وغيره مرة واحدة.

---

١. الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٦٦، ح٨.

٢. المصدر نفسه، ص٣٢٤، ح١١.

٣. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٣، ص٢١٦.

٤. المصدر نفسه، ج٨٢، ص١٣١.

وقد نقل عن أئمتنا عليهم السلام، وعن خواص شـيعتهم في طول السجود أمر عظيم، وقد عُدّ للسـجاد عليه السلام في بعض سـجداته ألف مرّة: "لا إله إلا الله حقًا حقًا" - الى آخرة -، وأنّ الكاظم عليه السلام يقرب طول سجوده من أول اليوم إلى صلاة الظهر.

ونقل عن ابن أبي عمير وجميل وخرَبوذ ما يقرب من ذلك.

وكان لي شـيخ جليل أيام تحصيلي في النجف الأشرف، وكان مرجعًا للأتقياء من طلبة زمانه في التربية، وسـألته عما جرّبه من الأعمال البدنية في تأثير حال السالك إلى الله، فذكر أمرين:

أحدهما: أن يسـجد في كل يوم وليلة سجدة واحدة طويلة، ويقول فيها: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

يقصد بذلك أنّ روحي مسـجونة في سـجن الطبيعة، ومقيَّدة بقيود الأخلاق الرذيلة، وإني بأعمالي جعلت نفسـي مسـجونة في هذا السـجن، ومقيَّدة بهذه القيـود، وأنزّه ربي من أن يكون هو الذي فعل بـي ذلك ظلمًا، وأنا الذي ظلمت نفسي، وأوقعتها في هذه المهالك.

وكان يوصي أصحابه بهذه السجدة، وكان كل من يعمل بها يعرف تأثيرها في حالاته؛ لا سـيما مَن كان طول سجوده أكثر، وكان بعض أصحابه يقول ذلك ألف مرّة، وبعضهم أقلّ، وبعضهم أكثر، وسمعت أنّ بعضهم يقول ثلاثة آلاف مرّة)[1].

قراءة القرآن

القـرآن ذِكر مبارك مـن عند الله، مبارك على من يحملـه، ومن يقرأه، ومن يعمل به. قال تعالى:

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[2].

---

١. جواد التبريزي، المراقبات، ص٢٩٤ - ٢٩٢.

٢. الأنعام: ٩٢.

﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[2].

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[3].

ولقراءة القرآن والتدبّر في آياته بركات عظيمة في حياة الإنسان.

عن رسول الله ﷺ: (من استضاء به - القرآن - نوّره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على من سواه هداه الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدى به، آواه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم)[4].

وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ اشْرَحْ بِالْقُرْآنِ صَدْرِي، وَاسْتَعْمِلْ بِالْقُرْآنِ بَدَنِي، وَنَوِّرْ بِالْقُرْآنِ بَصَرِي، وَأَطْلِقْ بِالْقُرْآنِ لِسَانِي، وَأَعِنِّي عَلَيْهِ مَا أَبْقَيْتَنِي، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِك)[5].

ولأنّ القرآن مبارك أُمرنا أن نفتتح الدعاء بالقرآن، فإنّ قراءة القرآن تخرق حجب الظلمة بين العبد وبين الله.

---

١. الأنعام: ١٥٥.

٢. الأنبياء: ٥٠.

٣. ص: ٢٩.

٤. تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص٤٥٠. مع اختصار بعض العبارات فيه، وإليك نص الحديث المتعلق بالمقطع الذي ذكره الشيخ رحمه الله، وإلا فهو حديث طويل: (مَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ نَوَّرَهُ اللَّهُ، وَمَنِ اعْتَقَدَ بِهِ فِي أُمُورِهِ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، وَمَنْ لَمْ يُفَارِقْ أَحْكَامَهُ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنِ اسْتَشْفَى بِهِ شَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ آثَرَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ هَدَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَعَلَهُ شِعَارَهُ وَدِثَارَهُ أَسْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ الَّذِي يَقْتَدِي بِهِ وَمُعَوَّلَهُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ، أَدَّاهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ). (من المحقق)

٥. الطوسي، مصباح المتهجد، ج١، ص٣٢٣.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ أَيِّ الْقُرْآنِ شَاءَ، ثُمَّ قَالَ: "يَا اللَّهُ" سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَلَوْ دَعَا عَلَى الصَّخْرَةِ لَقَلَعَهَا إِنْ شَاءَ اللَّه)[1].

الفقر والحاجة

إنّ الفقر والحاجة إلى الله بحد ذاتها تستنزل رحمة الله تعالى حتى من دون وعي وسؤال ودعاء؛ كما أنّ الأرض الواطئة تجتذب إليها المياه الجارية على وجه الأرض.

والعكس بالعكس؛ فإنّ الاستكبار والغرور والعناد يدفع رحمة الله تعالى ويحجب صاحبه عنها.

إنّ رحمة الله تطلب مواضع الفقر والحاجة، وهذه سُنّة إلهية شاملة.

إنّ الطفل الرضيع لا يعرف أن يعبّر عن جوعه وعطشه، فيلهمه الله البكاء، ويلهم أمه الحنان والرحمة إليه لتطعمه وتسقيه، وإننا لَنعصي الله ونذنب، فتجذب ذنوبنا رحمة الله ومغفرته، كما أنّ رحمة الله ومغفرته تطلب ذنوبنا لتكفّرها وتغفرها. تأملوا في هذه الآية الكريمة من (الزمر) تجدون عجبًا:

﴿قُلْ يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ لٰا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

إنّ رحمة الله تنزل على عموم المؤمنين العصاة مالم يتكّبروا ويُصِرّوا على مواصلة الذنوب والمعاصي، ولا تخص الآية خصوص المستغفرين منهم.

ولا شك أنّ الاستغفار من مُنزلات رحمة الله ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْاَسْحٰارِ﴾[3]، ولكنّ آية الزمر واضحة في أنّ كل ذنب منزلٌ لمغفرة الله، مالم يستكبر صاحبه ويصر عليه.

---

١. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص١٠٤.

٢. الزمر: ٥٣.

٣. آل عمران: ١٧.

وإننا نقرأ هذا المعنى في الدعاء الــذي يألف المؤمنون قراءته في أيام رجب بعد كل فريضة: (يا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَآمَنُ سَــخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الْكَثِيرَ بِالْقَلِيلِ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَة..)[1].

والفقــرة الأخيرة في هــذا الدعاء هي موضع الشــاهد: (يا مَنْ يُعْطِــي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ).

الدعاء

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[2].

إنّ قيمة الإنسان عند الله دعاؤه بين يديه، وإقباله على الله بالطلب والسؤال، فإذا انعدم الدعاء، انعدمت عند الله قيمته، فلا يعبأ به الله تعالى. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3].

إنّ الــدعاء موطن الإجابــة وكفى، والذين يتكّبرون عــن الدعاء بين يدي الله والســؤال والإنابة والتضرع، أولئــك المعرضون عن الله، ومــن يعرض عن الله، يخرج عن دائرة الرحمة التي وســعت كل شيء... ومن يخرج من دائرة رحمة الله يدخل جهنم لا محالة ذليلًا داخرًا.... وهذا هو معنى الآية المتقدمة.

الاستغفار والتوبة

يقــول تعــالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

---

١. ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج٣، ص٢١١.

٢. الفرقان: ٧٧.

٣. غافر: ٦٠.

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

إنّ هؤلاء الذين تذكرهم آيات آل عمران (١٣٥ - ١٣٣) هم الذين تنزل عليهم المغفرة من عند الله، ويسكنهم الله جنة عرضها السماوات والأرض.

وتشـمل هذه المغفرة والرحمة الواسـعة المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله، واستغفروا لذنوبهم، ولم يصروا على ما فعلوا. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2].

والآيـة الكريمة واضحـة في المقصـود: أنّ الذيـن يظلمون أنفسـهم ثم يستغفرون الله، يجعلهم الله تعالى في منزل مغفرته ورحمته.

ويقـول تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[3].

ويقـول أيضًا: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[4].

الشَّيبة في الإسلام

مما يستنزل رحمة الله أيضًا، أن يشيب الإنسان في الإسلام.

عن رسول الله ﷺ: (قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي؛ إنّه لأستحي من عبدي وأمَتي يشيبان في الإسلام أن أعذبهما. ثم بكى رسول الله ﷺ.

---

١. آل عمران: ١٣٥ - ١٣٣.

٢. النساء: ١١٠.

٣. هود: ٣.

٤. هود: ٥٢.

فقيل له: ما يبكيك يا رسول الله؟

قال: أبكى ممن استحى الله منه وهولا يستحي من الله)[1].

وعن رسول الله ﷺ بسند معتبر: (مَنْ عَرَفَ فَضْلَ شَيْخٍ كَبِيرٍ فَوَقَّرَهُ لِسِنِّهِ، آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام بسند صحيح: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِجْلَالَ الشَّيْخِ الْكَبِير)[3].

والأحاديث بهذا المضمون كثيرة.

ومقتضى هذه الأحاديث أن يعرف ذو الشيبة قيمة الشيبة التي رزقه الله في الإسلام، فيحفظها عن الذنوب والمعاصي، ويستثمر موقعه عند الله تعالى بالدعاء والاستغفار.

وعن رسول الله ﷺ: (مَنْ أَكْثَرَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجا)[4].

الجماعة والاجتماع

إنّ اجتماع المؤمنين يستنزل رحمة الله، ولا يجتمع جمع من المؤمنين تتصافى قلوبهم ونياتهم, ويتحابّون ويتآلفون في الله، ويتراشدون، إلا كانوا منزلًا

---

١. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، الباب ٩٦ من أبواب جهاد النفس، ج١٢، ص١٥٧، ح٤. مع اختلاف في اللفظ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي؛ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِي وَأَمَتِي يَشِيبَانِ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ أُعَذِّبَهُمَا. ثُمَّ بَكَى ﷺ، فَقِيلَ: مِمَّ تَبْكِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِمَنِ اسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهِمْ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْ عِصْيَانِهِ. (من المحقق)

٢. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص١٨٩.

٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٥٨، ح١.

٤. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٧٢.

لرحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وإنّ الله تعالى يحب اجتماع المؤمنين وتآلفهم وتعاونهم، ويبغض أن يشذّ أحد منهم عن الجماعة ويفترق عنهم.

عن رسول الله ﷺ: (علَيكُم بالجَماعةِ، وإيّاكُم والفُرْقةَ)[1].

وعنه ﷺ: (اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فإنّ يد الله مع الجماعة، ولم يجمع الله عز وجل أمتي إلا على هدى)[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (الْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ)[3].

وعنه عليه السلام: (فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلاَمَ الْبِدَعِ، وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ)[4].

جماعة المسلمين عاصمة

إنّ جماعة المسلمين تحصّن إيمان الإنسان ودينه وتعصمه.

عن رسول الله ﷺ: (مَنْ خَلَعَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ قَدْرَ شِبْرٍ، خَلَعَ رِبْقَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِه)[5].

---

١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، الحكمة: ٢٤٣٤، ج٢، ص٥٣٤.

٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص٢٠٥، ح١٠٢٥.

٣. نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٧، من كلام له عليه السلام للخوارج، ص١٤٧.

٤. المصدر نفسه، الخطبة: ١٥١، من خطبة له عليه السلام يحذّر من الفتن، ص١٧٢.

٥. أحمد البرقي، المحاسن، ج١، ص٢١٩. لكنه في جميع المصادر التي نقلت نصّ الحديث، مروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام بهذا السند: «عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام». وأغلبها نقلته عن المحاسن. نعم؛ في بعض مصادر العامة روي عن رسول الله ﷺ مع اختلاف يسير في اللفظ: «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه". راجع: (المتقي الهندي، كنز العمال، ج١،

والجماعة عاصمة تعصم الإنسان من الهوى والفتن والشيطان.

عن رسول الله ﷺ: (يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض)[1].

والجماعة هي جماعة أهل الحق، وليس للباطل جماعة عاصمة.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَمَاعَةِ أُمَّتِهِ، فَقَالَ: جَمَاعَةُ أُمَّتِي؛ أَهْلُ الْحَقِّ وَإِنْ قَلُّوا)[2].

صلاة الجماعة

إنّ حضور الصلاة في جماعة المسلمين مقياس للتقييم، وبعكسه مدعاة للشك والريب.

عن رسول الله ﷺ: (مَنْ صَلَّى الْخَمْسَ فِي جَمَاعَةٍ، فَظُنُّوا بِهِ خَيْرًا)[3].

وتُحصّن الإنسان من النفاق والفسق والفساد.

عن رسول الله ﷺ: (مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْماً فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ)[4].

والبراءة الأولى براءة من الفسق والفساد، والثانية براءة من النفاق، وهما تتحققان في الصلاة جماعة.

وقد همَّ رسول الله ﷺ بإحراق منازل قوم كانوا يُصلّون في منازلهم ولا

ص٢٠٧، ح١٠٣٥). (من المحقق)

١. المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص٢٠٦، ح١٠٣١.

٢. أحمد البرقي، المحاسن، ج١، ص٢٢٠.

٣. الكليني، الكافي، ج٣، ص٣٧١، ح٣.

٤. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٥، ص٤.

يُصلّون جماعة[1].

عن رسول الله ﷺ أنّ: (صُفُوفَ أُمَّتِي كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَالرَّكْعَةَ فِي الْجَمَاعَةِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ رَكْعَةً؛ كُلُّ رَكْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَأَمَّا يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَيَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِلْحِسَابِ، فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ مَشَى إِلَى الْجَمَاعَةِ إِلَّا خَفَّفَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ)[2].

رَوَى الشَّهِيدُ الثَّانِي ﷺ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْإِرْشَادِ مِنْ كِتَابِ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ لِلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ الْقُمِّيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَّصِلِ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَانِي جَبْرَئِيلُ مَعَ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَأَهْدَى إِلَيْكَ هَدِيَّتَيْنِ لَمْ يُهْدِهِمَا إِلَى نَبِيٍّ قَبْلَكَ.

قُلْتُ: وَمَا تِلْكَ الْهَدِيَّتَانِ؟

قَالَ: الْوَتْرُ ثَلَاثُ رَكَعَاتٍ، وَالصَّلَاةُ الْخَمْسُ فِي جَمَاعَةٍ.

قُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ؛ وَمَا لِأُمَّتِي فِي الْجَمَاعَةِ؟

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِذَا كَانَا اثْنَيْنِ كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِكُلِّ رَكْعَةٍ مِائَةً وَخَمْسِينَ

---

١. الوارد في المصادر أنّ النبي ﷺ همّ بإحراق القوم الذين لا يُصلّون جماعة لا المنازل بما هي. وبينهما عموم وخصوص من وجه كما لا يخفى وإن كان الوارد في الروايات خصوص إحراقهم في منازلهم. وبكل الأحوال؛ فهذا التعبير أبلغ في بيان أهمية صلاة الجماعة، فالملاك هو إحراق القوم لأنهم يُصلون في المنازل ولا يُصلون جماعة، فقد تكون المنازل فارغة إذا أحرقت. وإليك نصّ الحديث:
عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِحْرَاقِ قَوْمٍ فِي مَنَازِلِهِمْ كَانُوا يُصَلُّونَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَلَا يُصَلُّونَ الْجَمَاعَةَ. (الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢ من أبواب صلاة الجماعة، ج٨، ص٢٩٣، ح٩). (من المحقق)

٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١ من أبواب صلاة الجماعة، ج٨، ص٢٨٨، ح١٠.

صَلَاةً، وَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً كَتَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِكُلِّ رَكْعَةٍ سِتَّ مِائَةِ صَلَاةٍ، وَإِذَا كَانُوا أَرْبَعَةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفاً وَمِائَتَيْ صَلَاةٍ، وَإِذَا كَانُوا خَمْسَةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَإِذَا كَانُوا سِتَّةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانَمِائَةِ صَلَاةٍ، وَإِذَا كَانُوا سَبْعَةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكُلِّ رَكْعَةٍ تِسْعَةَ آلَافٍ وَسِتَّ مِائَةِ صَلَاةٍ، وَإِذَا كَانُوا ثَمَانِيَةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكُلِّ رَكْعَةٍ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفاً وَمِائَتَيْ صَلَاةٍ، وَإِذَا كَانُوا تِسْعَةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكُلِّ رَكْعَةٍ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةِ صَلَاةٍ، وَإِذَا كَانُوا عَشَرَةً كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِكُلِّ رَكْعَةٍ سَبْعِينَ أَلْفاً وَأَلْفَيْنِ وَثَمَانَمِائَةِ صَلَاةٍ، فَإِنْ زَادُوا عَلَى الْعَشَرَةِ، فَلَوْ صَارَتِ السَّمَاوَاتُ كُلُّهَا مِدَاداً وَالْأَشْجَارُ أَقْلَاماً وَالثَّقَلَانِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ كُتَّاباً، لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَكْتُبُوا ثَوَابَ رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ.

يَا مُحَمَّدُ! تَكْبِيرَةٌ يُدْرِكُهَا الْمُؤْمِنُ مَعَ الْإِمَامِ خَيْرٌ مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، وَخَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَرَكْعَةٌ يُصَلِّيهَا الْمُؤْمِنُ مَعَ الْإِمَامِ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَسَجْدَةٌ يَسْجُدُهُمَا[1] الْمُؤْمِنُ مَعَ الْإِمَامِ فِي جَمَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ[2].

وقال شيخنا الشهيد الثاني في كتاب الروضة:

(الجماعة مستحبة في الفريضة مطلقًا، متأكدة في اليومية حتى أنّ الصلاة الواحدة منها تعدل خمسًا أو سبعًا وعشرين مع غير العالم ومعه ألفًا، ولو وقعت في المسجد تضاعف بمضروب عدده في عددها؛ ففي الجامع مع غير العالم ألفان وسبعمائة، ومعه مائة ألف. وروي أنّ ذلك مع اتحاد المأموم، فلو تعدد

١. هكذا ورد في المصدر الأصلي للرواية، وكذلك في المصادر الأخرى التي نقلت عنه. والأصح (يسجدها) أو تثنية (سجدة). (من المحقق)

٢. زين الدين العاملي، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، ج٢، ص٩٦٤؛ ونقله عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج٨٥، ص١٤.

تضاعف في كل واحد بقدر المجموع في سابقه)[1].

وروى الشهيد في النفلية عن الصادق عليه السلام: (الصلاة خَلْف العالم بألف ركعة)[2].

وبناءً على التفصيل الذي يذكره شيخنا الشهيد الثاني رضي الله عنه، فإنّ:

كل ركعة من الصلاة جماعةً مع غير العالم تعادل: ٢٧ ركعة.

وكل ركعة من الصلاة جماعةً مع إمام عالم تعادل: ١٠٠٠ ركعة.

وكل ركعة من الصلاة جماعةً مع غير عالم في الجامع تعادل: ٢٧٠٠=٢٧×١٠٠ ركعة.

وكل ركعة من الصلاة جماعةً مع إمام عالم في الجامع تعادل: ١٠٠,٠٠٠ =١٠٠٠×١٠٠ ركعة.

ذلك إذا انفرد المأموم، ومع تعدد المأموم يضرب العدد السابق في عدد المأمومين، فإذا كان المصلون ألفًا مع إمام عالم وفي الجامع، كانت كل ركعة منها تعادل ١٠٠٠ (مع الإمام العالم) × ١٠٠٠ (عدد المصلين) ×١٠٠ (في الجامع) = ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ركعة.

مجالس المؤمنين

إنّ مجالس المؤمنين من مواطن رحمة الله ومن أفضلها وأجلّها.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِذَا رَأَيْتُمْ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا فِيهَا. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الرَّوْضَةُ؟ فَقَالَ: مَجَالِسُ الْمُؤْمِنِين)[3].

ومن هذه المجالس التي يحميها الله تعالى وتستنزل رحمته، مجالس الذِّكر.

---

١. زين الدين العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج١، ص٧٩٠.

٢. زين الدين العاملي، الرسائل الفقهية (الرسالة النفلية) من موسوعة الشهيد الأول، ج١٨، ص٢٠١.

٣. محمد بن إدريس، السرائر، ج٣، ص٦٥٣.

عن رسول الله ﷺ: (مَا قَعَدَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا قَعَدَ مَعَهُمْ عِدَّةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ)[1].

ومُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَادِرُوا إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟

قَالَ: حَلَقُ الذِّكْرِ)[2].

وروى أحمد بن فهد في (عدة الداعي): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: (ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟

قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ)[3].

وروى الحسن بن أبي الحسن الديلمي في كتابه: عن النبي ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَمُرُّونَ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ، فَيَقِفُونَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَيَبْكُونَ لِبُكَائِهِمْ، وَيُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِم)[4].

وفي (العلل): عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَفَعَهُ، قَالَ: (قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ؛ اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْنَيْكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ عَالِماً يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ وَيَزِيدُونَكَ عِلْماً، وَإِنْ كُنْتَ جَاهِلًا عَلَّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصِلَهُمْ بِرَحْمَةٍ فَتَعُمَّكَ مَعَهُمْ. وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْماً لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُ عَالِماً لَا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُ جَاهِلًا

---

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧، ص١٥٣.

٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥٠ من أبواب الذِّكر، ج٧، ص٢٣٠، ح١.

٣. أحمد بن فهد، عدة الداعي، ص٢٥٣.

٤. حسن الديلمي، إرشاد القلوب، ج١، ص١١.

يَزِيدُونَكَ جَهْلًا، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصِلَهُمْ بِعُقُوبَةٍ فَتَعُمَّكَ مَعَهُمْ)[1].

القلوب المتحاتّة

عَــنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا الْتَقَيَــا، فَتَصَافَحَا، أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرَّحْمَةَ عَلَيْهِمَا، فَكَانَتْ تِسْــعَةٌ وَتسعين [تِسْعُونَ] لِأَشَدِّهِمَا حُبّاً لِصَاحِبِهِ، فَــإِذَا تَوَافَقَا غَمَرَتْهُمَا الرَّحْمَةُ، وَإِذَا قَعَدَا يَتَحَدَّثَانِ، قَالَتِ الْحَفَظَةُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: اعْتَزِلُوا بِنَا، فَلَعَلَّ لَهُمَا سِرّاً وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا)[2].

وعَنْ إِسْــحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَــالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا اغْتَنَقَا غَمَرَتْهُمَــا الرَّحْمَةُ، فَإِذَا الْتَزَمَا لَا يُرِيدَانِ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْــهَ اللَّهِ وَلَا يُرِيدَانِ غَرَضاً مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا، قِيلَ لَهُمَا مَغْفُوراً لَكُمَا فَاسْــتَأْنِفَا، فَإِذَا أَقْبَلَا عَلَى الْمُسَاءَلَةِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: تَنَحَّوْا عَنْهُمَا، فَإِنَّ لَهُمَا سِرّاً وَقَدْ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا)[3].

الصَّدقة

عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِح[4].

اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَة[5].

مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّة[6].

---

١. الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣٩٤، ح٩.

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٦، ص١٨٩.

٣. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٨٤، ح١.

٤. نهج البلاغة، الحكمة: ٦، ص٤٠٦.

٥. المصدر نفسه، الحكمة: ١٣٢، ص٤٣٢.

٦. المصدر نفسه.

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ، يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ[1].

إِذَا أَمْلَقْتُمْ، فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ[2].

ومن وصيه لأمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه الحسن المجتبى عليه السلام:

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الاِرْتِيَادِ وَقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبَطَهَا بِكَ لاَ مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ (بِكَ أَوْلَى)، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُوئِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ (وَبَابَ الاِسْتِعْتَابِ)، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ،

---

١. المصدر نفسه، الحكمة: ٢٢٤، ص٤٤٨.

٢. المصدر نفسه، الحكمة: ٢٥٠، ص٤٥٢.

وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ؛ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وَ أُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ! فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَه[1].

رِقة القلوب

روى الكليني بسند معتبر عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (إِذَا رَقَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَدْعُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَرِقُّ حَتَّى يَخْلُصَ)[2].

إنّ القلوب ترقّ، فتخلص من الأمراض والأدران التي تعلق بها، فتهبط عليها رحمة الله، فتنتعش وترتوي؛ كالأرض الهشّة التي ينزل عليها المطر، فتخضرّ وتثمر. والقلوب القاسية؛ كالأرض الصلدة التي ينزل عليها المطر، فلا ينفذ منه فيها شيء.

عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُكَ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاكَ، فَدُونَكَ دُونَكَ فَقَدْ قُصِدَ قَصْدُكَ)[3].

---

١. المصدر نفسه، الكتاب: ٣١، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفًا من صفين، ص٣٣٥.

٢. الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٧٧، ح٥.

٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٨ من أبواب الدعاء، ج٧، ص٧٢، ح٣.

حالة الاضطرار إلى الله

الاضطرار يستنزل رحمة الله، وهو أقرب ما يكون فيه العبد إلى الله، ولا يُقبِل العبد إلى الله باضطرار، أو يشعر أنه لم يبق أمامه خيار إلا اللجوء إلى الله، إلاّ ويفتح الله تعالى عليه أبواب الرحمة، ويفرّج عنه إن شاء الله، وقد نزل في ذلك قرآن من عند الله. وهو قوله تعالى: ﴿اَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ اِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ﴾[1].

في الاضطرار، تتساقط جميع الخيارات أمام العبد إلاّ خيارًا واحدًا؛ وهو اللجوء إلى الله تعالى.

ولنقرب ذلك بمثال: إنّ الذي يحتاج على وجه الأرض إلى ماء أو طعام أو دواء أو يسعى إلى حاجة، يجد أمامه خيارات كثيرة، فإن سقط خيار تبقى أمامه خيارات أخرى، ولكن إذا وقعت الطائرة في أعماق الجو في مطبّ هوائي صعب، وتعرضت لهزات تنذر بالسقوط... عندئذ تتساقط الخيارات جميعًا، ولا يبقى للإنسان إلا خيار واحد؛ وهو اللجوء الى الله تعالى، ولو أنّ الناس جميعًا على وجه الأرض بقاراتها الخمسة ارادوا إنقاذه لما تمكنوا من ذلك، ولا يبقى له إلا خيار واحد؛ وهو اللجوء الى الله تعالى...

وهذا هو الاضطرار، وهو يستنزل الرحمة، فيكشف الله عنده الضر والسوء عن المؤمنين إذا دعوه: ﴿اَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ اِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ﴾.

فإنّ الله تعالى كاشف الضر عن المؤمنين المنكوبين المضطرين، إذا جاؤوا وصرخوا بالدعاء.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: (كَانَ دُعَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ: يَا صَرِيخَ الْمَكْرُوبِينَ، وَيَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَيَا كَاشِفَ غَمِّيَ، اكْشِفْ عَنِّي غَمِّي

---

١. النمل: ٦٢.

وَهَمِّي وَكَرْبِي، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ حَالِي وَحَالَ أَصْحَابِي، وَاكْفِنِي هَوْلَ عَدُوِّي)[1].

وفي الخبر أنّ الله تعالى ناجى موسى بن عمران عليه السلام، فقال له في مناجاته: (يَا مُوسَى؛ مُرْ عِبَادِي يَدْعُونِي عَلَى مَا كَانَ بَعْدَ أَنْ يُقِرُّوا بِي أَنِّي أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أُجِيبُ الْمُضْطَرِّينَ، وَأَكْشِفُ السُّوء)[2].

ودعاء المضطرين هو الدعاء المعروف بدعاء الغريق[3]... الذي يجرّبه الغريق في عرض البحر عندما تبتلعه الأمواج وهو لا يرجو أحدًا غير الله.

وقد كان فيما وعظ الله به عيسى بن مريم عليه السلام: (يَا عِيسَى! اسْتَغِثْ بِي فِي حَالاتِ الشِّدَّةِ، فَإِنِّي أُغِيثُ الْمَكْرُوبِينَ، وَأُجِيبُ الْمُضْطَرِّينَ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[4].

وقد يتساءل أحد قائلًا: قد وجدنا المضطرين يدعون، فلا يستجاب لهم، فأين هذا من قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾؟

والجواب: إنّ مَثَل هذا الكلام مَثَل من يقول: (إذا اجتهد الطالب في التحضير للامتحان ينجح).

وهو كلام صحيح بالتأكيد، ولكن قد يجِدُّ الطالب ويجتهد في التحضير، فلا ينجح لطارئ يطرأ عليه ساعة الامتحان، فيشغل باله، ويسلب منه القدرة على الإجابة، فلا ينجح، وقد يعيقه عائق من حضور الامتحان لسبب من الأسباب، وأشباه ذلك.

---

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٦١، ح١٧.

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٣، ص٣٣٦.

٣. راجع الملحق رقم (١): حقيقة دعاء الغريق.

٤. أحمد بن فهد، عدة الداعي، ص١٦٨.

إنّ صاحب السـؤال يفتـرض أنّ دعاء المضطر هو العلـة التامة للإجابة... وليس الأمر كذلك. إنّ دعاء المضطر يقتضي الإجابة من عند الله إلا أنه قد يكون إلى جانبـه موانـع تمنع الإجابة... والنظـام الكوني، وكذلك النظـام الاجتماعي، لا يجري بموجـب عامل وحداني كي تتحقق الإجابة بوجـوده وتنتفي بانتفائه... فما أكثر مـن يموت تحت الأنقاض في الـزلازل، وبالنار فـي الحرائق، وغرقًا في الفيضانات، ولا ينفي ذلك دور الدعاء في حالة الاضطرار، وأنّ الله تعالى يكشـف السوء عن عباده إذا دعوه في نكباتهم.

كما لا ينفـي أن يموت أناس تحت يـد الأطباء ومع الالتـزام بالعلاج وتناول الـدواء... ومـع ذلك؛ فلا نخطئ لو قلنـا: إنّ الله تعالى جعل الشـفاء في الطب والدواء.

إنّ النظـرة المحـدودة التجزيئيـة ذات البعـد الواحد إلى القضايـا الكونية والاجتماعية تُوقع الإنسـان في أخطـاء كثيرة... والصحيح هـو أن نضع القضايا الكونية والاجتماعية في إطارها الكوني أو الاجتماعي الواسـع جزءاً من كلٍّ؛ حتى نفهمها فهمًا صحيحًا.

وقد يتسـاءل أحد أيضًا: أنّ الله تعالى جعل الاضطرار إليه في الدعاء مفتاحًا للإجابة وكشـف السـوء، ولكن هـل للإنسـان أن يجعل دعاءه كلـه من دعاء المضطر الغريق؟

والجواب: نعم؛ إذا أمعن الإنسـان النظر في الكون والمجتمع وعلاقته بالله تعـالى، عرف أنّ الأمر كله في الكون والمجتمع يجري بإرادة الله تعالى ولا يشـذ عن إرادته شيء حتى في الأمور العادية جدًا الداخلة في حياتنا اليومية؛ كالخروج إلى السوق، وتناول الماء والطعام، والتكلّم عبر الهاتف... فإنّ ذلك كله بيد الله، ولا خيار للإنسان إلا أن يلجأ إليه تعالى في حاجته.

عن رسول الله ﷺ: (سلوا اللّه كلّ شيء حتّى الشّسع - أي شسع النعل -، فإنّ

اللّه إن لم ييسّره لم يتيسّر)[1].

ولا يعني ذلك البتة: أن لا يتوسل الإنسان في حاجاته بالوسائل الطبيعية؛ كالسوق والطبيب والدواء والمعلم والقضاء والشرطة... فإنّ هذه الوسائل تأتي في امتداد مشيئة الله تعالى ومسخّرة لأمره.

ولا ينافي استخدام الوسائل الطبيعية والاجتماعية... التوحيد والاضطرار، إذا كان الإنسان يعلم أنها كلها جميعًا مسخّرة ومسيّرة بأمر الله وإذنه.

وهذا المعنى من رقائق التوحيد، رزقنا الله تعالى وعيها وفقهها.

الصلاة على محمد وآل محمد

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ، فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلاَةِ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى)[2].

طوائف أخرى من مستنزلات الرحمة في حياة الإنسان

في ختام هذا الحديث، نذكر طائفة من النصوص عن أهل البيت عليهم السلام في أقرب أحوال الإنسان إلى الله عز وجل أو ما يقوم بتقريبه إليه.

إنّ من أهم مستنزلات الرحمة الإلهية في حياة الإنسان تلك المواضع التي يكون فيها الإنسان أقرب إلى الله تعالى، فكلما كان العبد أقرب إلى الله، كان أقرب إلى نيل رحمته وكرامته ورضوانه وفضله.

وهذه مجموعة من النصوص تحدد طائفة من مقرّبات الإنسان إلى الله:

١. كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتابًا إلى أهل مصر عندما

١. أبو القاسم پاينده، نهج الفصاحة، ص٥٢٤.

٢. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٥٣، ص٤٧٩.

ولـى عليهم محمد بن أبـي بكر، ومن جملة ما قال لهم فيـه: (يَا عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ أَقْـرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَـى الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ حِيـنَ يَعْمَلُ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَيَنْصَحُهُ فِي التَّوْبَة)[1].

٢. وعن الصـادق عليه السلام: (أَقْرَبُ مَا يَكُـونُ الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَـزَّ، إِذَا خَفَّ بَطْنُه)[2].

كمـا ورد عـن أبي جعفـر الباقـر عليه السلام: (مَـا مِـنْ شَـيْءٍ أَبْغَـضَ إِلَى اللَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ مِـنْ بَطْـنٍ مَمْلُـوءٍ)[3].

٣. عن أبي الحسـن موسـى بن جعفر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِذَا أَدْخَلَ عَلَى قَلْبِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَسَرَّةً)[4].

وروى الكليني في الكافي بسـند صحيح: عَنْ زَيْدٍ الشَّـحَّامِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (اطْلُبُوا الدُّعَاءَ فِي أَرْبَعِ سَاعَاتٍ: عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيَاحِ، وَزَوَالِ الْأَفْيَاءِ، وَنُزُولِ الْقَطْرِ، وَأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفَتَّحُ عِنْدَ هذِهِ الْأَشْيَاءِ)[5].

وروى الكلينـي أيضًا: عَـنْ أَبِي الْعَبَّـاسِ فَضْلٍ الْبَقْبَـاقِ، قَالَ: قَـالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: (يُسْـتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: فِي الْوَتْرِ، وَبَعْدَ الْفَجْرِ، وَبَعْدَ الظُّهْرِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ)[6].

وروى عَنِ السَّـكُونِيِّ عَـنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَـالَ: قَالَ أَمِيـرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:

---

١. المفيد، الأمالي، ص٢٦١.

٢. الكليني، الكافي، ج٦، ص٢٦٩، ح٤.

٣. المصدر نفسه، ص٢٧٠، ح١١.

٤. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص٣١٦.

٥. الكليني، الكافي، ج٢، ص٤٧٦، ح١.

٦. المصدر نفسه، ح٢.

اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ أَرْبَعٍ: عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَعِنْدَ الْتِقَاءِ الصَّفَّيْنِ لِلشَّهَادَةِ)[1].

وروى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: (كَانَ أَبِي، إِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ، طَلَبَهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؛ يَعْنِي زَوَالَ الشَّمْسِ)[2].

وروى عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (كَانَ أَبِي إِذَا طَلَبَ الْحَاجَةَ، طَلَبَهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا أَرَادَ ذلِكَ، قَدَّمَ شَيْئاً فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَشَمَّ شَيْئاً مِنْ طِيبٍ، وَرَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَدَعَا فِي حَاجَتِهِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ)[3].

---

١. المصدر نفسه، ح٣.

٢. المصدر نفسه، ح٤.

٣. المصدر نفسه، ح٧.

المحور الثالث: اغتنام منازل الرحمة ومراقبتها

اغتنام منازل الرحمة الإلهية

الخُسْر

إنّ عمر الإنسان رأس ماله، وكلما انقضى من عمره هلك شطر من رأس ماله، فإذا انقضى عمره كله، خسر رأس ماله كله. وذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[1].

أي أنّ عمر الإنسان في تصّرم وزوال دائم، وهو معنى الخسر، فكلما مضى من عمره يوم، خسر ذلك اليوم من رأس المال الذي وهبه الله إياه.

هذه طبيعة (العمر)؛ سَيالّة متصرِّمة لا تثبت للحظة واحدة... وهو رأس مال الإنسان، ولا يبلغ الإنسان مبلغًا من العمل الصالح إلا به، فإذا استغله واستثمره في حينه أفلح، وإلا خسره، وهو ما تقرره سورة العصر: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

ولأنّ عمر الإنسان كل رأس ماله، فإنّ خسارته خسارةٌ للدنيا وخسارةٌ للآخرة؛

---

١. العصر: ٢ - ١.

لأنه إنما يفلح في الآخرة بما استثمر من عمره في الدنيا، فإذا خسر عمره، خسر الدنيا، وإذا خسر الدنيا خسر الآخرة بالضرورة، وذلك هو الخسران المبين.

إذًا؛ عمر الإنسان في حالة تصّرم وزوال دائم؛ وهو معنى (الخُسْر) في سورة العصر.

ولكن الصالحين من الناس فقط يعرفون كيف يحوّلون رأس المال السيّال المتصرّم، الذي لابد أن يتصرم، إلى رأس مال صلب بالإيمان والعمل الصالح: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

والإيمان والعمل الصالح رأس مال صلب، لا يتصرَّم ولا يزول، ويتقدم صاحبه إلى الله، فإذا مات الإنسان وأقبل على الله، وجد عنده تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2].

كما أنّ العكس أيضًا صحيح؛ فالذين يحوّلون المتصرم من أعمارهم إلى الذنوب والمعاصي يجدونها عند الله على هيئة الكلمة الخبيثة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3].

ويختصر الأمرين قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾[4].

إذًا؛ الكلمة الطيبة عند الله، وهي الأعمال الصالحة، والكلمة الخبيثة، وهي الذنوب والمعاصي يثبتها الله، فيعاقب عليها أو يعفو عنها.

والشأن كل الشأن أن يُحوَّل الإنسان رأس ماله السيال المتصرم إلى رأس مال ثابت صلب من العمل الصالح ويقدمه بين يديه إلى الله تعالى، وكل ما لا

---

١. العصر: ٣.

٢. الزلزلة: ٧ - ٦.

٣. الزلزلة: ٨.

٤. الكهف: ٤٩.

يحوّله الإنسان منه إلى عمل صالح، فهو الخسران والضياع لأعزَّ رأس مال رزق الله تعالى عباده؛ وهو عمره، ومهما يمضِ من عمر الإنسان شطر، يذهب شطر من هذه الفرصة المحدودة.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (يا ابن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، فإذا مضى يوم، مضى بعضك)[1].

وعن الحسين عليه السلام: (يا بن آدم! إنما أنت عدد أيام، إذا مضى يوم، مضى بعضك)[2].

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، من الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، الحكمة: ٦٦١، ج٢٠، ص٣١٩. كما يروي ابن الحديد هذا الحديث بعينه عن الحسن البصري، ج١٦، ص٩١. وهو غير ثابت قعلًا أنه لأمير المؤمنين عليه السلام لكنه متداول بين العلماء والباحثين على أنه كذلك. (من المحقق)

٢. هذا الحديث نقل في مصادر متعددة بصيغ متعددة تارة عن أمير المؤمنين، وأخرى عن الحسن البصري كما في الحديث المتقدم الذي رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، وثالثة عن الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث رواه الديلمي في إرشاد القلوب عن الإمام الحسين عليه السلام بهذه الصيغة: "يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ؛ كُلَّمَا مَضَى يَوْمٌ، ذَهَبَ بَعْضُك". (حسن الديلمي، إرشاد القلوب، ج١، ص٤٠)، ورواه ابن أبي فراس في مجموعته عن الحسن بهذه الصيغة: "يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّمَا أَنْتَ عَدَدُ أَيَّامٍ؛ إِذَا مَضَى يَوْمٌ، مَضَى بَعْضُكَ". (ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر، ج١، ص٧٨).
نقول: غير معلوم أنّ المقصود من (الحسن) هو الإمام المعصوم أو هو الحسن البصري؟ لكن المرجّح أنه الحسن البصري بقرينة ما جاء في هامش هذا الحديث في موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٩٥٧؛ حيث استظهر هناك أن يكون هو الحسن البصري، وكذلك بقرينة روايته عنه في شرح نهج البلاغة وإن اختلف معه في اللفظ إلى حدّ ما. والجميع رووه مرسلًا بلا سند؛ لذلك لا يمكن التحقق من نسبته إلى المعصوم.
والحاصل أننا نرجّح أن يكون القائل واحدًا، وهو الحسن البصري للقرائن المتقدمة وإن اختلفت الألفاظ بشكل يسير، فالمراد والمضمون واحد، ولعل هذا الاختلاف في اللفظ يرجع إلى التسامح فيه وتناقله بلا ضبط سنده ولفظه. (من المحقق)

وهذه كلمة دقيقة ومعبّرة، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1].

الحَسْرَة

وليس للإنسان من وراء هذه الخسارة عودة إلى الحياة الدنيا ليعوضها، فإذا فرّط في عمره، فلن يكون له إلا الحسرة الدائمة، لا تنفك عنه أبدًا. قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللّٰهِ حَتّٰى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلٰى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[2].

ويحذّرنا الله تعالى من تلك الحسرة التي لا تفوقها حسرة، يوم القيامة، على ما فرط الإنسان في جنب الله من عمره ودنياه:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتٰى عَلٰى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[3].

إنّ من وراء الخُسْر دائمًا حسرة ترافق الإنسان، ولا تنفك عنه، وهي من أشد العذاب الذي يلقاه الذين يفرّطون في أعمارهم.

هذه الخسارة في الأعمار تتبعها خسارة في الأعمال الصالحة، وخسارة الأعمال الصالحة تتبعها خسارة في منازل الجنة.

فإذا جمع الله الناس ليوم الحشر، يخسر الظالمون منازلهم التي أعدّها الله تعالى لهم في الجنة، ويفوز بها الصالحون؛ وهو معنى (التغابن) في سورة التغابن.

فما من إنسان يخلفه الله تعالى إلا ويجعل له منزلًا في الجنة ومنزلًا في النار، فإذا جمع الله الناس ليوم الجمع، فاز الصالحون بمنازل الظالمين في

١. الحج: ١١.
٢. الأنعام: ٣١.
٣. الزمر: ٥٦.

الجنة، وشقي الظالمون بمنازل الصالحين في النار، وهذا هو معنى التغابن بين الصالحين والظالمين في الآخرة[1].

وكأنّ الصالحين يوم القيامة يبخسون الظالمين بالفوز بمنازلهم في الجنة، وبشقاء الظالمين بالحلول في منازل الصالحين في النار... يقال: غبن فلان فلانًا: إذا بخسه وخَسّره؛ كما لو عاوضه سلعة بسلعة أقل منها ثمنًا... وهذا هو معنى التغابن[2]. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[3].

وليس من وراء هذا الغَبن العظيم والخسارة التي تلحق الإنسان يوم القيامة إلا الحسرة. يقول تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[4].

وليس لهذا الخسران من جبر، وليس لهذه الحسرة من نفاذ، فلا يزال الذين فرّطوا في دنياهم بفرص رحمة الله تعالى في حسرة دائمة لا تنتهي ولا تنفد. يقول تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[5].

إنّ هذه الحسرة التي لا نفاد لها تلحق العبد بسبب ما فرّط في الفرص التي أعدّها الله تعالى له في الدنيا، وضيّعها العبد بجهالته وسفهه.

---

١. وهو أحد الأقوال في تفسير (التغابن) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]. وسوف يأتي منا مزيد توضيح حول تفسير التغابن في الملحق رقم (٢): الغَبْن في اللغة والاصطلاح. (من المحقق)

٢. راجع الملحق رقم (٢): الغَبْن في اللغة والاصطلاح

٣. التغابن: ٩.

٤. الأنعام: ٣١.

٥. الزمر: ٥٦.

وهي حسرة موجعة لا ينفك عن المسيء الذي فرّط في عمره وجعها ولوعتها. يقــول تعــالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[1].

وليس بوســعهم يومئذ تدارك ما فاتهــم من الفرص في حياتهــم الدنيا بعد أن قُضــي الأمر وانتهى... ولا عودة ولا رجوع، ولم يبق لهم إلا الحســرة التي لا تفيد ولا تغنــي. يقــول تعــالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

لقــد كانت تمر عليهم الفرص، فرصة بعد فرصة، وكانوا عنها في غفلة... ولقد انتبهوا عن الغفلة، وكشــف عنهم الغطاء: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3].

ويتمنّــون أن يعودوا إلى الحياة الدنيا مَرّة أخــرى ليتداركوا ما فاتهم من هذه الفرص، ولكن هيهات أن يعودوا بعد أن قضي الأمر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[4].

إنّ هذه الحســرة الموجعة التــي لا تنفد هي ثمرة التفريط فــي الفرص التي أعدّها الله تعالى للإنسان في الحياة الدنيا، وغفل عنها الإنسان.

عــن أمير المؤمنين الإمام علــي عليه السلام: (ثَمَرَةُ التَّفْرِيــطِ النَّدَامَةُ، وَثَمَــرَةُ الْحَزْمِ السَّلاَمَة)[5].

---

١. الفرقان: ٢٧.

٢. مريم: ٣٩.

٣. ق: ٢٢.

٤. المؤمنون: ١٠٠ - ٩٩.

٥. نهج البلاغة، الحكمة: ١٧٢، ص٤٤٠.

والحزم هو التفكير والانتباه والتأمل، وأعظم ما يصيب الإنسان من الحسرة والندامة يوم يجد أمامه أهوال يوم القيامة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (عِنْدَ مُعَايَنَةِ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ تَكْثُرُ مِنَ الْمُفَرِّطِينَ النَّدَامَة)[1].

عمومية الحسرة

إنّ من أسماء يوم القيامة (يوم الحسرة). يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[2].

والحسرة من أبرز المشاهد النفسية للناس يوم القيامة.

ولا يخلو يومئذ أحد من الحسرة؛ يتحسّر الصالحون؛ لأنهم لم يزيدوا في التمسك بالفرص التي أعدها الله تعالى لهم.

ويتحسر الظالمون لِما فرّطوا به من الفرص في حياتهم في جنب الله وغفلوا عنها.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل لابن مسعود وهو يعظه:

(يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! أَكْثِرْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَالْبِرِّ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ يَنْدَمَانِ؛ يَقُولُ الْمُحْسِنُ: يَا لَيْتَنِي ازْدَدْتُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَيَقُولُ الْمُسِيءُ: قَصَّرْتُ. وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾)[3].

وعنه صلى الله عليه وآله: (ما من أحد يموت إلا ندم؛ إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن ألا يكون نزع)[4].

---

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٥٥.

٢. مريم: ٣٩.

٣. الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٤٥٤.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص٦٨٠، ح٤٢١٦.

وقد سمعنا في الأساطير أنّ إسـكندر المقدوني مرّ في بعض فتوحاته بأرض صخرية تكثر فيها قطـع الأحجار، وكان مرورهم ليلًا، وكانـت ليلة باردة ظلماء، فأمر إسكندر جنده أن يحملوا معهم من أحجار هذا الوادي ما وسعهم ذلك، ولا يألوا في ذلك جهدًا.

فتكاسـل بعضهم أن ينزل من على فرسه، فلم يأخذ معه شيئًا من الأحجار، ونزل آخرون، فأخذوا معهم حجرًا أو حجرين، وآخرون أخذوا ملء أكفّهم، ومنهم من ملأ جيوبه، ومنهم من ملأوا جيوبهم وأخراج فرسهم، وهناك من ملأ كل ما يمكن ملؤه من الأكف والجيوب والأخراج وكل وعاء يحملونه.

فلما أصبحوا وابتعـدوا عن الوادي، وجدوا أنّ الأحجـار التي حملوها معهم هي أحجار كريمة ذات قيمة عالية.

فعاش الجميع يومئذ الحسرة والغبن؛ فالذين أخذوا من الأحجار ملء جيوبهم وخرجهم وكل وعاء لهم على ظهر الدابة، كانوا يتمنون لو كانوا قد ازدادوا من ذلك.

والذين قصّروا كانوا يتمنون لو لم يقصّروا.

والذين لم يحملوا معهم شيئًا منها كانوا يتحسرون على ما فاتهم من الفرصة وما أصابهم من خسارة.

ولا شك أنها أسطورة من نسج الخيال، ولكنها تنفعنا مثالًا وشاهدًا على ما نقول، فإنّ حال الناس في الندم والحسرة يوم القيامة يشبه حال رجال هذه الأسطورة.

ولذلك يسمي القرآن يوم القيامة بيوم (الحسرة). يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[1].

وكذلـك يسـمي القـرآن يـوم القيامـة بيـوم (التغابـن). يقـول تعـالى:

---

١. مريم: ٣٩.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[1].

تثبيت الفرص

إذًا؛ الفُرَص في حياة الإنسان؛ سواء كانت زمانية أو مكانية أو إنسانية، هي رأس مال الإنسان الذي وهبه الله تعالى إياه.

وهو رأس مال سيّال ينفد ويتصرّم ولا يثبت على حال؛ لأنّ عمر الإنسان سيال ومتصرّم.

وهذا السيلان في العمر هو سبب (الخُسْر) في حياة الإنسان إذا لم يغتنم هذه الفرص ويثبّتها. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[2].

ونتساءل الآن: كيف يغتنم الإنسان الفرص ويحوّل رأس ماله السيّال المتصرّم النافد إلى رأس مال ثابت وصلب لا سبيل للسيلان والنفاد إليه؟

والجواب على هذا السؤال في سورة العصر نفسها. قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3].

الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر، هو رأس مال ثابت صلب نامٍ في حياة الإنسان، وليس نافدًا كالعمر والفرص التي تقع في وعاء العمر ليشمله قانون (الخسر) والنفاد.

ويقدّم الإنسان الإيمان والعمل الصالح بين يديه إلى الله، فإذا أقبل على الله وجدهما عنده تعالى. يقول تعالى عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[4].

---

١. التغابن: ٩.

٢. العصر: ٢.

٣. العصر: ٣.

٤. الزلزلة: ٧ - ٦.

إنّ العمــل مهما صغر، وإن كان مثقال ذرة، لا يتصرم ولا ينفد؛ بل يثبت حتى يقدم عليه صاحبه، فيراه أمامه عند الله. يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

إنّ العمل الصالح مهما قلّ حجمه لا يضيع في موازين القسط الإلهية، ويأتي به الله حتى لو كان بثقل حبة من الخردل، ولا ينفد ولا يتصرم؛ بل ينمو عند الله، فـإذا أقدم عليه صاحبه وجده ناميًا. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

أخرج الحسين بن سفيان في مسنده وأبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس، قال ســمعت رســول الله ﷺ يقول:(فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللهِ عَلَى حَــذَرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُــمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَأَنَّكُمْ مُلَاقُــوا اللهَ لَابُدَّ مِنْهُ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)[3].

اغتنام الفرص

ويتم تثبيت الفرص باغتنام الفرص وانتهازها والمبادرة إلى الأعمال الصالحة ما دامت في العمر فرصة.

والنصوص الإسلاميــة حافلة بهذا المعنى؛ ومن ذلك ما رواه المتقي الهندي عن رسول الله ﷺ: (من فتح له باب من الخير، فلينتهزه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه)[4].

---

١. الأنبياء: ٤٧.

٢. النساء: ٤٠.

٣. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، ص٢٦٤.

٤. المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٥، ص٧٩١، ح٤٣١٣٤.

وعن رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا)[1].

وفي بعض النصوص: (أَلَا فَتَرَصَّدُوا لَهَا)[2].

والتعبير واضح ودقيق: لابد من رصد هذه الفرص ومراقبتها حتى لا تفوت.

كما لابد لهذه الفرص من استعداد من قبل العبد، وقد ورد في بعض النصوص: (أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا بِكَثْرَةِ الِاسْتِعْدَادِ)[3].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ فِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ! اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.

يَا أَبَا ذَرٍّ! إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ بِأَمَلِكَ، فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِمَا بَعْدَهُ.

يَا أَبَا ذَرٍّ! إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ)[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّة)[5].

المبادرة والتعجيل في اغتنام الفرص

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُعَجِّلُ)[6].

---

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص٢٢١.

٢. ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللآلي، ج١، ص٢٩٦,

٣. المصدر نفسه، ج٤، ص١١٨.

٤. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٧ من أبواب مقدمة العبادات، ج١، ص١١٤، ح١٣.

٥. نهج البلاغة، الحكمة: ١١٤، ص٤٢٧.

٦. الكليني، الكافي، ج٣، ص١٤٢، ح٤.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (إِذَا هَمَمْتَ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ، فَلَا تُؤَخِّرْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رُبَّمَا اطَّلَعَ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَةِ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُعَذِّبُكَ بَعْدَهَا أَبداً. وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئَةٍ، فَلَا تَعْمَلْهَا، فَإِنَّهُ رُبَّمَا اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَهَا أَبَداً)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (مَنِ انْتَظَرَ بِمُعَاجَلَةِ الْفُرْصَةِ مُؤَاجَلَةَ الِاسْتِقْصَاءِ، سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ فُرْصَتَهُ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْأَيَّامِ السَّلْبَ، وَسَبِيلَ الزَّمَنِ الْفَوْتُ)[2].

ومعنى الحديث: أن من لم يعاجل الفرصة المؤاتية بالانتهاز والاستغلال، وانتظر وأَجّل المبادرة، فقد طلب إقصاء الفرصة وإبعادها... وسلبته الأيام الفرصة المؤاتية[3].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (كَانَ أَبِي يَقُولُ إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ)[4].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِخَيْرٍ أَوْ صِلَةٍ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ شَيْطَانَيْنِ، فَلْيُبَادِرْ لَا يَكُفَّاهُ عَنْ ذَلِكَ)[5].

---

١. محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج٨، ص٣٣٦، ح٧.

٢. حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٨١.

٣. جاء في بيان معنى الحديث: (لعل المراد أنّ من وجد الفرصة ولم يستفد منها، و ينتظر زمنا حتّى يستوفي من المطلوب بنحو أتم، ذهبت هذه الفرصة أيضًا ولم ينل بشيء من المطلوب أبدًا). راجع: حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٨١، الهامش رقم: ٥. (من المحقق)

٤. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٤٢، ح٣.

٥. المصدر نفسه، ص١٤٣، ح٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّة)[1].

التحذير من التكاسل في العمل

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (إِيَّاكُمْ وَالْكَسَلَ، إِنَّ رَبَّكُمْ رَحِيمٌ يَشْكُرُ الْقَلِيلَ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِمَا وَجْهَ اللَّهِ، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّهُ لَيَتَصَدَّقُ بِالدِّرْهَمِ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِنَّهُ لَيَصُومُ الْيَوْمَ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ)[2].

عدم استصغار حسنة ولا سيئة

عن محمد بن علي الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم: (لَا تَسْتَصْغِرَنَّ حَسَنَةً تَعْمَلُهَا، فَإِنَّكَ تَرَاهَا حَيْثُ تَسُرُّكَ، وَ لَا تَسْتَصْغِرْ سَيِّئَةً تَعْمَلُهَا، فَإِنَّكَ تَرَاهَا حَيْثُ تَسُوؤُك)[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ، إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ)[4].

---

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٣١، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفًا من صفين، ص٣٤٥.

٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٨ من أبواب مقدمة العبادات، ج١، ص١١٥، ح٤.

٣. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر، ج٢، ص٣٠٥.

٤. نهج البلاغة، الحكمة: ٤١٤، ص٤٩٢.

المحور الرابع: الوعي والمراقبة

تمهيد

ولكي لا تفوت الإنسان المبادرة إلى فرص الرحمة واغتنام منازلها فهو بحاجة إلى الوعي والمراقبة.

وإذا فقدهما، فقد المبادرة إلى فرص الخير، وتفوته فرص الرحمة، فرصة بعد أخرى، حتى إذا حلَّ به الموت قال:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

فإنّ الإنسان قد يجهل قيمة هذه الفرص عند الله أو يغفل عنها، فيفوته من الخير والرحمة ما لا يعلم به ولا يحصيه إلا الله، ثم لا يمكنه أن يتداركها فيما بعد.

وإنّ القلب ليسهو - والسهو هو من أمراض القلب - فتفوت الإنسان من هذه الفرص ما لا يحصيه ولا يعرفه إلا الله، وتلك هي الخسارة التي لا تضاهيها خسارة.

---

١. المؤمنون: ١٠٠ - ٩٩.

والغفلــة والســهو من أعظم مصائب الإنســان، يُفقده ويخســره الكثير مما جعل الله تعالى للإنسان من بركات في حياته.

عن علي عليه السلام: (احذروا الغفلة، فإنها من فقدان الحس)[1].

وهو كلام دقيق، فإنّ الإنســان فــي حالة الغفلة يفقد الإحســاس بما يجري حوله وما يمر عليه.

ويقول عليه السلام: (دوام الغفلة يعمي البصيرة)[2].

ويقول أيضًا: (من غلبت عليه الغفلة مات قلبه)[3].

ولكي يَسْــلَم الإنسان من آفات الجهل والجهالة لابدّ له من المراقبة الدائمة المتصلة، حتى تتحول المراقبة إلى ملكه ثابته في نفسه.

وإليكم شرح هذين العنوانين في خاتمة هذا البحث:

الوعي

أقسام الوعي

الوعي الذي لابدّ منه للإنسان على أربعة أقسام:

١. وعي وجود الله وصفاته
٢. وعي النَّفْس.
٣. وعي الفِتَن.
٤. وعي الفُرَص

---

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة: ٧، ص١٦٠

٢. المصدر نفسه، ص٨١٩.

٣. المصدر نفسه، الحكمة: ٧٨٠، ص٦١٥.

ولابد للإنسان من هذه الأقسام الأربعة للوعي.

وإليك تفصيل ذلك بقدر ما يسعه المقام:

القسم الأول: وعي وجود الله وصفاته

هــذا الوعي هو معرفة الله تعالى، ومعرفة الله هي الغاية من خلق الإنســان، وهي غاية حركته وسعيه على وجه الأرض. يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

والعبادة تحمل الإنسان على الخشوع بين يدي الله والطاعة والذكر والانقطاع إلى الله من كل شيء، وكل ذلك تحقيق وتحصيل للمعرفة.

وبيــن العبادة والمعرفة علاقــة تبادلية، فإنّ العبادة تــؤدي إلى معرفة الله. يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2].

وكلما ازداد حظّ الإنســان من العبادة، ازداد حظّه مــن اليقين والمعرفة، ولا نهاية لرحلة المعرفة واليقين.

والعكس أيضًا صحيح؛ فإن معرفــة العبد لصفات الجلال والجمال تُحَضّره للمثول بين يدي الله تعالى للعبادة والخشوع والخضوع والطاعة.

وهكذا... يتكامل الإنسان في السلوك إلى الله تعالى بين العبادة والمعرفة.

وبين معرفــة الله تعالى والتقرب إليــه علاقة طردية، فكلما ازداد الإنســان معرفة بالله تعالى، ازداد قربًا إليه.

كما أنّ بين الجهل بالله تعالى والبعد عنه علاقة طردية أيضًا.

إذًا؛ المعرفة قرب، والجهل بعد... وهاتان المعادلتان بديهيتان.

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. الحجر: ٩٩.

إنّ حظ الإنسان من الكمال في سلوكه وكدحه إلى الله هو معرفته بالله وتقربه إليه.

ويموت كل إنسان ليلقي الله تعالى بحظه الذي اكتسبه في الدنيا من القرب والمعرفة.

وكلما كان حظ الإنسان من القرب والمعرفة أعظم، كان حظه وموقعه من الله يومذاك أعظم.

القسم الثاني: وعي النَّفْس

وهذا الوعي هو ما يذكره علماء المعرفة بعنوان (معرفة النفس)، ويأتي في المرتبة بعد معرفة الله تعالى، وهو من أقرب السبل إلى معرفة الله تعالى.

وقد ذكر القرآن هذه المعرفة في هذا السياق، فإنّ ما تختزنه نفس الإنسان من آيات الله تعالى يؤدي بالإنسان إلى معرفة الله من أقرب الطرق وأيسرها، ولو أنّ الإنسان تأمل في نفسه وأمعن النظر فيها، لآتاه الله تعالى الوعي في نفسه، وهو بدوره يؤدي به إلى معرفة الله من أقصر الطرق وأيسر السبل. يقول تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

إنّ التأمل فيما أودع الله تعالى في نفس الإنسان من كنوز وقدرات وآيات يفضي بالإنسان إلى معرفة الله تعالى.

والمدرسة العرفانية - الفقهية المعاصرة لنا، وهي المدرسة التي تتسلسل حلقاتها من صاحب الميزان إلى السيد علي القاضي والملكي التبريزي والمولى

١. الذاريات: ٢١ - ٢٠.

٢. فصلت: ٥٣.

محمد البهاري والسيد محمد سعيد الحبوبي والمولى حسين قلي الهمداني والمولى السيد علي التستري... تعتبر هذا المنهج هو المنهج المفضّل والأقرب والأفضل في معرفة الله تعالى.

ويدعو روّاد هذه المدرسة إلى أن يتفرغ الإنسان بضع دقائق في كل يوم للتفكير في نفسه، ينقطع عن التفكير في أي شيء ويتأمل في نفسه: من أنا؟ كيف أتذكر الأشياء؟ كيف أخجل؟ كيف أغضب؟ ما هي الفطرة التي أودعها الله تعالى في نفسي؟ لماذا نحب الجمال ونكره القبيح؟ لماذا نحب النظافة ونكره القذارة؟ لماذا نتعاطف مع الضعفاء والمظلومين ونكره الظالمين؟

ما هذه الغرائز المودعة في أنفسنا؟ ما الضمير؟ ما العقل؟ كيف أفكر؟ وكيف أنتقل من المعلوم إلى المجهول؟ وكيف أكشف المجهولات العلمية؟

كيف أخاف؟ كيف أحزن وأفرح؟ كيف أغضب وأرضى؟ كيف يتعجب الإنسان؟ لماذا أُعرض؟ ولماذا أُقْبِل؟ ومئات الأسئلة الأخرى من هذا القبيل...

إذا تعلم الإنسان أن يغوص في نفسه، وتمرّس على الغوص اليومي ولو لبضع دقائق، يخرج من هذا الغوص بلآلئ من الوعي والمعرفة، ومن أعظم ما يخرج به الإنسان من هذا الغوص هو معرفة الله تعالى... وهو من أقرب الطرق إلى الله وآمنها وأيسرها.

وقد يشقّ على الإنسان أمر هذا الغَور في داخل النفس، ولكن ما إن يتمرّس على الغَور في داخل نفسه حتى يسهل عليه ذلك كسائر المهارات النفسية.

والمهارات النفسية شأنها شأن المهارات الجسدية، بداياتها صعبة، ثم تسهل على الإنسان كلما تمرّس بها.

القسم الثالث: وعي الفِتَن

أمام الإنسان (فِتن) في ساحة الحياة، وعلى الإنسان أن يتحرك في مساحة

الفتن بحيطة وحذر، ويتجنب السقوط فيها، فإنّ الفتن تشبه الألغام المبثوثة في ساحات القتال، لا يعلم الإنسان متى تنفجر تحت قدميه ويبتر ساقه وساعده.

فتن الشر وفتن الخير

والفتن على طائفتين: فتن الشــر، وفتن الخير. ويجب على الإنسان التحرك بحذر وحيطه فيهما جميعًا، ويحذر من الســقوط فيهما، فلا يجزع في فتن الشر، ولا يستســلم لفتن الخير ويســقط فيهــا. يقــول تعــالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

وقد جاء ذِكر لهذا وذاك في القرآن الكريم:

فتن الشرّ في القرآن

يقول تعالى عن فتــن الشــر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3].

هــذه طائفة من فتن الشــر: الجــوع، والخوف، ونقص في الأمــوال والأنفس والثمرات، والبأساء، والضراء.

وهــذه الفتن تواجه النــاس جميعًا من دون فرق، والابــتلاء بهذه الفتن من

---

١. الأنبياء: ٣٥.

٢. البقرة: ١٥٦ - ١٥٥.

٣. البقرة: ٢١٤.

سنن الله تعالى المطلقة غير المشروطة[1].

ولابد للإنسان أولًا من وعي هذه الفتن ومعرفتها ومقاومتها والصبر تجاهها، وأن لا يستسلم ولا يجزع ولا ييأس ولا يتعب.

فتن الخير في القرآن

وفي مقابل فتن الشر، فتن الخير. يقول الله تعالى عن فتن الخير: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2].

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[5].

---

١. ما ذكره الشيخ ﷺ هو نوع من السنن؛ وهي السنن المطلقة غير المشروطة، وهناك نوع آخر من السنن؛ وهي السنن المشروطة، وهذا بحث مفصّل وطويل ترجع جذوره إلى علم الكلام، لكن نقول باختصار: إنّ السنن الإلهية على نوعين: سنن مشروطة، وسنن مطلقة وغير مشروطة، وكلاهما ورد له ذِكر في القرآن، وإليك نماذج من الآيات الكريمة لكلٍّ من النوعين:
أما السنن المشروطة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الأنفال: ٥٣]
و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. [الرعد: ١١]
وأما السنن غير المشروطة، فمن ذلك ما ذكره الشيخ ﷺ أعلاه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾. [الأعراف: ٩٤] (من المحقق)

٢. آل عمران: ١٤.

٣. الأنعام: ٣٢.

٤. الأنفال: ٢٨.

٥. التغابن: ١٥.

هذه طائفة من فتن الخير، وعلى الإنسان أن يعيها ويفهمها ولا يغتر بها، ولا ينزلق عليها، ولا يسقط فيها، وأن يقاوم إغراءاتها وإثاراتها، وهو من أعظم الجهاد.

إذًا؛ في كلتا الساحتين: ساحة فتن الشر وساحة فتن الخير، على الإنسان أن يتحرك بحذر واحتياط لئلا يسقط فيها.

والسقوط في فتن الشر هو بمعنى الجزع واليأس والتعب والهزيمة.

والسقوط في فتن الخير بمعنى الاغترار بها والاستسلام لإغراءاتها واختراق حدود الله تعالى إليها.

القسم الرابع: وعي الفُرَص

كما أنّ أمام الإنسان (فِتن) في ساحة الحياة، كذلك أمامه (فُرَص)، لكنّ التعامل معها على عكس (الفِتن)، فعلى الإنسان أن يعي الفرص، ويفهمها، ويغتنمها، وينال مما جعل الله فيها من بركات ما أمكنه ذلك قبل أن تفوت، فإنّ الفرص سّيالة لا تثبت على حال، فإن لم يستثمرها صاحبها تفوته من غير رجعه، ولا يبقى له غير حسرة الخسران:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[1].

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[2].

وقد قلنا فيما تقدم إنّ الله تعالى جعل أمام الإنسان فرصًا كثيرة، وجعل هذه الفرص في متناول الإنسان، وجعلها سيالة متصرمة.

فمن انتهزها وأدركها، نال خيرًا ورزقًا كثيرًا من عند الله، ومن تباطأ وتثاقل

---

١. العصر: ٢.

٢. الزمر: ٥٦.

عنها، ورث حسرة وخسرانًا لا حدّ لهما.

وذكرنا أنّ هذه الفرص على ثلاثة أنحاء:

فرص زمانية؛ كليلة الجمعة، وليلة النصف من شعبان، وشهر رمضان، ويوم عرفة.

وفرص مكانية؛ كالبيت الحرام، والحرم النبوي الشريف، وجامع الكوفة، والمسجد الأقصى، والحائر الحسيني.

وفرص إنسانية، وهي طائفة واسعة من الفرص؛ كالحياة، والشباب، والفراغ، والصحة، والغنى، والتقوى، والذكر، والشكر، والورع، وصلاة الجماعة، والدعاء، والحركة في الأسواق، والجهاد في سبيل الله، وطلب العلم.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ فِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ! اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ. يَا أَبَا ذَرٍّ! إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ...)[1].

وقد اصطلحنا على هذه الفرص الثلاث اسم (منازل الرحمة الإلهية)، فهي جميعًا تستنزل رحمة الله تعالى على الإنسان.

وهي جميعًا سيالة، متصّرمة، وقصيرة المدى، وإذا فات الإنسان منها شيء، فلن يعود إليه مرة أخرى؛ وذلك أنّ وعاء هذه الفرص جميعًا هو (عمر الإنسان).

ولما كان عمر الإنسان سيالًا متصرّمًا، لا يثبت بحالٍ، يكون حال هذه الفرص حاله، تتصرم كما يتصّرم عمر الإنسان.

فإذا فاتت الإنسان صلاة الليل لليلة واحدة، فلن تعود إليه النافلة الفائتة مرة أخرى، والنافلة التي يدركها ويؤديها في الليلة التالية هي نافلة أخرى غير التي فاتته.

---

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٧ من أبواب مقدمة العبادات، ج١، ص١١٤، ح١٣.

وإذا فات الإنسان طلب العلم في يوم من أيام من عمره، فلن تعود إليه الفرصة التي فاتته لطلب العلم مرة أخرى، فقد فاتت الفرصة من دون عودة، والفرص القادمة في أيام قابلة هي فرص أخرى غير التي فاتته.

وهكذا سائر الفرص...

والشرط الأول في التوفيق لاغتنام هذه الفرص هو: وعي قيمة هذه الفرص في حياة الإنسان، ووعي سيولتها وتصرّمها.

المراقبة

الشرط الثاني: مراقبة هذه الفرص لانتهازها في وقتها.

والمراقبة على أربعة أنحاء. وإليك تفصيل الكلام فيها:

المراقبة الأولى: مراقبة الله تعالى

المراقبة الأولى: هي مراقبة الله تعالى، وهي دوام ذكر الله تعالى في السراء والضراء، فلا يغفل العبد عن ربه، والله تعالى أيضًا لا يغفل عن عبده، فإنّ الله لا يزال يذكر عبده في كل أحواله إلا أن يكون ممن ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[1].

وهذه المراقبة المستديمة لله تعالى من جهة، وحضور الله ومراقبته لعبده من جهة أخرى، تُحصّن العبد من مثلث (الهوى والفتنه والشيطان).

وقد روي عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى قوله لابن مسعود: (يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! اخْشَ اللَّهَ بِالْغَيْبِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاك)[2].

يقول الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝٣٣ ادْخُلُوهَا

---

١. التوبة: ٦٧.

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣٩٣.

بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار في حديث طويل، قال:(يَا إِسْحَاقُ! فَخَفِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ، فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ اسْتَتَرْتَ عَنِ الْمَخْلُوقِينَ بِالْمَعَاصِي وَبَرَزْتَ لَهُ بِهَا، فَقَدْ جَعَلْتَهُ فِي حَدِّ أَهْوَنِ النَّاظِرِينَ إِلَيْك)[2].

وهو ما ذكرناه من مراقبة الله تعالى لعبده ومراقبة العبد لله... فإنّ الرؤية الأولى[3] في الحديث النبوي المعروف[4] - والذي[5] يذكّر به الإمام الصادق عليه السلام إسحاق بن عمار - هي من مراقبة العبد لله، وهو شرط التقوى والورع. والرؤية الثانية[6] هي مراقبة الله تعالى لعبده، وهو شرط الإيمان بالله، ومن نفاها ورفضها، فهو على حدّ الكفر بالله تعالى[7]. ومن آمن بأنّ الله يراه، ثم لم يراقب الله تعالى في أعماله وهو مع ذلك يراقب الناس ويستتر عنهم بمعاصيه، فقد جعل الله تعالى أهون الناظرين، وهو من أقبح ما يفعله الإنسان[8].

---

١. ق: ٣٤ - ٣٣.

٢. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص١٤٧.

٣. وهو قوله صلى الله عليه وآله في الحديث النبوي: (اخْشَ اللَّهَ بِالْغَيْبِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ). (من المحقق)

٤. أي الحديث المتقدم؛ وهو قول النبي صلى الله عليه وآله لابن مسعود: (يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! اخْشَ اللَّهَ بِالْغَيْبِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاك). (من المحقق)

٥. أي الحديث النبوي؛ أي أنّ الإمام الصادق عليه السلام يذكّر إسحاق بهذا الحديث، وهو قوله عليه السلام: (فَخَفِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ). (من المحقق)

٦. وهو قوله صلى الله عليه وآله في الحديث النبوي: (فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاك). (من المحقق)

٧. وذلك بموجب قول الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الثاني: (فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ، فَقَدْ كَفَرْتَ). (من المحقق)

٨. وذلك بموجب قول الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الثاني: (وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ثُمَّ اسْتَتَرْتَ عَنِ الْمَخْلُوقِينَ بِالْمَعَاصِي وَبَرَزْتَ لَهُ بِهَا، فَقَدْ جَعَلْتَهُ فِي حَدِّ أَهْوَنِ النَّاظِرِينَ إِلَيْك). (من المحقق)

المراقبة الثانية: مراقبة النفس

ولــولا أنّ الله تعالى يراقب عبده، ويحفظه من نزواته وشــهواته، ولا يكله إلى نفســه وأهوائها، ولولا أنّ الإنسان يراقب نفسه وشهواتها، لسقط الإنسان في أول نزوه من نزوات النفس والهوى، سقوطًا لا يكون له من بعده نهوض.

ولكــن الله تعالى يراقب عبده ويحفظه مــن نزوات النفس والهوى، ولا يكله إلى نفســه، ولابد للإنســان أن يبذل جهدًا كبيرًا في مراقبة نفســه بصورة متصلة ومســتمرة، ولا يغفل عنها لحظة واحدة، فإنّ الشــيطان يرصد الإنســان في كل حين، فإذا صادف الإنســان لحظة غفلة، أســقطه في تلــك اللحظة، لولا أنّ الله تعالى يحفظه ويراقبه.

أ رأيت الســائق الذي يقود ســيارته بســرعة كبيــرة؟ لو أنه غفل عــن مراقبة الســيارة والطريق لحظة واحدة، لهلك في تلك اللحظة. إنّ المراقبة المستمرة والمســتديمة شــرط في الســياقة، وإنّ نزوات النفس أشــد خطورة من انحراف السيارة عن مسيرها عند غفلة السائق.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (أهلكُ شيء الهوى)[1].

وعــن الإمام الصادق عليه السلام: (احْــذَرُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تَحْــذَرُونَ أَعْدَاءَكُمْ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْدَى لِلرِّجَالِ مِنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِم)[2].

وعنه عليه السلام: (لَا تَدَعِ النَّفْسَ وَهَوَاهَا، فَإِنَّ هَوَاهَا فِي رَدَاهَا)[3].

وإذا كانت نفس الإنســان وما تختزن من الأهواء بهذه المثابة من الخطورة، فإنّ على الإنسان أن يراقب نفسه ونزواتها وشهواتها باستمرار ولا يغفل عنها.

---

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة: ٢٤، ص١٨٦.

٢. الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٣٥، ح١.

٣. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٨٩.

وعنـدما تتحول هـذه المراقبـة إلى ملكة راسـخة في النفس، يسـهل أمر المراقبة المستمرة على الإنسان؛ كما يسهل على السائق الحاذق والماهر مراقبة سيارته التي يقودها بسرعة عالية من غير عناء ومشقة.

المراقبة الثالثة: مراقبة الفتن

المراقبة الثالثة؛ هي مراقبة الفتن في حياة الإنسـان... إنّ في طريق الإنسان فتنًا كثيرة مبثوثة ومزروعة على سـطح الأرض، ولابد له من أن يحذر من السقوط فـي هذه الفتن، ومن هـذه الفتن: المال، والدنيا، والمنصـب، والجنس الآخر... يقـول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1].

وهذه طائفة مـن الفتن تذكرها هذه الآية من سـورة آل عمـران، وفي حياة الإنسان طوائف أخرى كثيرة من الفتن مبثوثة على طريقه، يمتحن الله تعالى بها عباده وثباتهم ومقاومتهم للفتن على الصراط المستقيم.

وهـذه الفتن قائمة فـي واقع الحيـاة عـلى الأرض، وفي مقابـل الفتن تقع (الأهواء).

والأهواء كامنة داخل النفس، وهي الوجه الآخر للفتن، وبين الأهواء الكامنة داخل النفس والفتن الواقعة خارج النفس على سطح الحياة تجاذب قوي؛ حيث تثير الفتن المنتشـرة على سطح الحياة أهواء النفس وشهواتها، وتنجذب الأهواء والشهوات إلى الفتن في المقابل.

والله تعالى يختبر الإنسـان بين هذين القطبين (الأهـواء والفتن) ويمتحن ثباته ومقاومته بهما.

---

١. آل عمران: ١٤.

ولكي يفلح الإنســان في هذا الامتحان العسير، يجب عليه أن يمارس مراقبة مضاعفة؛ مراقبة الأهواء داخل النفس، ومراقبة الفتن على سطح الحياة.

المراقبة الرابعة: مراقبة الفُرَص

المراقبة الرابعة على سطح الحياة؛ هي مراقبة الفرص التي تمرّ على الإنسان مرور السحاب، فإذا اغتنمها نالها وتوفق بها وأدركها.

وهــي لا تتكرر، فــإذا فاتت الإنســان فرصة من هذه الفــرص، فليس هنالك ما يعــوض الفرصة الفائتة، والفــرص المماثلة هي فرص أخــرى غير التي فاتت الإنسان، ولن تتكرر الفرصة مرة أخرى.

وهذه حقيقة مُرَّة لابد أن يدركها الإنســان، وأكثــر الناس يقعون في مغالطة نفســية كبيرة، حيث يتوهمون أنّ هذه الفرص تتــكرر، فإذا فاتت فرصة عوضتها أخرى... وهو وهم من أوهام النفس.

وهذه الفــرص التي تمر على الإنســان فرص محدودة من عمــره بالضرورة، فليس في عمر الإنســان مالا نهاية له من (شهر رمضان) ولياليه وأيامه المباركة ليتهــاون فيما رزقه الله من شــهر رمضان اعتمادًا على ما يُقبل عليه من شــهور رمضان أخرى في الســنين القابلة. إنّ الفرص محدودة بالضرورة، وهي سيالة لا تثبت، وإذا أدرك الإنسان هذه الحقائق جميعًا، راقب هذه الفرص مراقبة دقيقة لئلا تفوته فرصة من هذه الفرص المحدودة السيالة التي لا تُعَوضَّ.

وهذه المراقبة لفرص الحياة شرط أساسي في توفيق الإنسان في حياته.

ولن يتفاوت الناس في المرور بهذه الفرص، فإنّ الناس يمرون بهذه الفرص الزمانية والمكانية والإنسانية على نحو سواء، غير أنّ الذين يراقبون هذه الفرص فــي حياتهم فقط هم الذين يدركونها، وينالون منهــا مالا يناله ولا يدركه الذين لا يراقبون هذه الفرص في حياتهم.

وقـد ورد التعبيـر عن هذه المراقبة بـ (الرعاية) في الحديث القدسـي الذي أوحى الله تعـالى بـه إلى داود عليه السلام أو بعـض الصدّيقيـن؛ أن أوليـاء الله تعالى يسـكنون إلى ظلام الليـل وهدوئه، ويحرصون عـلى أن لا تفوتهم فرصة اللقاء بـالله ومناجاة الحبيب وذكـره في آناء الليل، وأنهم يحنّون إلى غروب الشـمس كما تحنّ الطيـر إلى أوكارها عند الغروب، ويراعون الـظلال - أي يراقبون ظلال الشـمس - ويتابعونها انتظارًا لقدوم الليل؛ كما يراعي الراعي الشفيق غنمه التي يحرص عليها.

وإليكم نصّ الحديث بتمامه، فإنه من غرر الحديث القدسـي، وفيه ما يعجز الإنسان عن تصويره من الشوق المتبادل بين الله تعالى وأوليائه، فهم يشتاقون إلى مناجاة الحبيب في ظلمات الليل، والله تعالى يشـتاق إليهم كما يشـتاقون إليه، ويُحِبّهم كما يُحِبونه، ويذكرهم كما يذكرونه، ويرزقهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت من رحمته:

أَوْحَى اللَّهُ تَعَـالَى إِلَى بَعْـضِ الصِّدِّيقِيـنَ: أَنَّ لِي عِبَاداً مِنْ عِبَـادِي يُحِبُّونِّي وَأُحِبُّهُمْ، وَيَشْتَاقُونَ إِلَيَّ وَأَشْتَاقُ إِلَيْهِمْ، وَيَذْكُرُونِّي وَأَذْكُرُهُمْ، فَإِنْ أَخَذْتَ طَرِيقَتَهُمْ أَحْبَبْتُكَ، وَإِنْ عَدَلْتَ عَنْهُمْ مَقَتُّكَ.

فَقَالَ: يَا رَبِّ! وَمَا عَلَامَتُهُمْ؟

قَالَ: يُرَاعُونَ الظِّلَالَ بِالنَّهَارِ كَمَا يُرَاعِي الشَّـفِيقُ غَنَمَـهُ، وَيَحِنُّونَ إِلَى غُرُوبِ الشَّـمْسِ كَمَا يَحِنُّ الطَّيْـرُ إِلَى أَوْكَارِهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ، فَإِذَا جَنَّهُـمُ اللَّيْلُ، وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ، وَفُرِشَـتِ الْمَفَارِشُ، وَنُصِبَتِ الْأَسِـرَّةُ، وَخَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ، نَصَبُوا إِلَيَّ أَقْدَامَهُمْ، وَافْتَرَشُـوا إِلَيَّ وُجُوهَهُمْ، وَنَاجَوْنِي بِكَلَامِي، وَتَمَلَّقُونِي بِأَنْعَامِي، مَا بَيْنَ صَارِخٍ وَبَاكٍ، وَمَا بَيْنَ مُتَأَوِّهٍ وَشَاكٍ، وَبَيْنَ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ، وَبَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ.

بِعَيْنِي مَا يَتَحَمَّلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَبِسَمْعِي مَا يَشْكُونَ مِنْ حُبِّي. أَقَلُّ مَا أُعْطِيهِمْ ثَلَاثاً:

الْأَوَّلُ: أَقْذِفُ مِنْ نُورِي فِي قُلُوبِهِمْ، فَيُخْبِرُونَ عَنِّي كَمَا أُخْبِرُ عَنْهُمْ.

وَالثَّانِي: لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرَضُونَ وَمَا فِيهِمَا فِي مَوَازِينِهِمْ، لَاسْتَقْلَلْتُهَا لَهُمْ.

وَالثَّالِثُ: أُقْبِلُ بِوَجْهِي عَلَيْهِمْ. أَ فَتَرَى مَنْ أَقْبَلْتُ بِوَجْهِي عَلَيْهِ؛ أَ يَعْلَمُ مَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ؟![1]

ومن الناس من تفوتهم فرصة هدأة الليل وظلامه وما يرزق الله تعالى فيه أحبابه من مناجاته وذكره والقيام والركوع وافتراش المساجد بين يديه، ولا يعون عِظَم الخسارة التي يمنون بها في تضييع هذه الفرص!

فتلك هي الخسارة التي تعقبها الحسرة أعاذنا الله منها.

١. زين الدين العاملي (الشهيد الثاني)، مُسكّن الفؤاد، ص١٨.

الملحقات

الملحق (1): حقيقة دعاء الغريق

لقــد ورد اصطلاح (دعاء الغريق) في الكثيــر من الروايات، لكن يقول بعض العلماء إنه ليس المقصود من دعاء الغريق أنه هناك دعاء بعينه، وإنما أن يدعو الله كدعاء من أشــرف على الغرق، فإنّ الإخلاص والخضوع فيه أخلص من سائر الأدعية لانقطاع الرجاء من غيره سبحانه[1].

وقد وردت في هذا المعنى روايات، نذكر منها:

١. عَنِ ابْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ؛ مَــنْ أَصَابَهُ مِنْكُمْ مُصِيبَــةٌ أَوْ نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ، فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُسْــبِغِ الْوُضُوءَ، ثُــمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ فِــي آخِرِهِنَّ: «يَا مَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى، وَيَا سَــامِعَ كُلِّ نَجْوَى وَشَاهِدَ كُلِ مَلَإٍ وَعَالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ، وَيَا دَافِعَ مَا يَشَــاءُ مِنْ بَلِيَّــةٍ، وَيَا خَلِيلَ إِبْرَاهِيــمَ، وَيَا نَجِيَّ مُــوسَى، وَيَا مُصْطَفِيَ مُحَمَّــدٍ صلى الله عليه وآله، أَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنِ اشْــتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَقَلَّــتْ حِيلَتُهُ، وَضَعُفَتْ

١. راجع: محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج١٠، ص١١٣، هامش الحديث ١٤.

قُوَّتُهُ، دُعَاءَ الْغَرِيقِ الْغَرِيبِ الْمُضْطَرِّ الَّذِي لَا يَجِدُ لِكَشْفِ مَا هُوَ فِيهِ إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ». فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو بِهِ أَحَدٌ إِلَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّه[1].

٢. وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: سَيَأْتِي فِي أُمَّتِي زَمَانٌ تَخْبُثُ فِيهِ سَرَائِرُهُمْ، وَتَحْسُنُ فِيهِ عَلَانِيَتُهُمْ طَمَعاً فِي الدُّنْيَا، لَا يُرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَكُونُ أَمْرُهُمْ رِيَاءً لَا يُخَالِطُهُمْ خَوْفٌ، يَعُمُّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ فَيَدْعُونَهُ دُعَاءَ الْغَرِيقِ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ[2].

٣. وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: كَانَ فِيمَا وَعَظَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ع أَنْ قَالَ لَه... يَا عِيسَى! ادْعُنِي دُعَاءَ الْغَرِيقِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُغِيث[3].

لكن في المقابل هناك بعض النصوص تذكر أنّ السائل يسأل الإمام عليه السلام عن كيفية دعاء الغريق، فيجيبه الإمام بكلمات خاصة؛ نظير:

ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: سَتُصِيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَوْنَ بِلَا عَلَم يُرَى وَلَا إِمَامٍ هُدًى لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الْغَرِيقِ. قُلْتُ: وَكَيْفَ دُعَاءُ الْغَرِيقِ؟ قَالَ: تَقُولُ: «يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[4].

أقول: سواء كان هناك دعاء خاص للغريق أم لم يكن، فإنّ المغزى والمطلوب واحد، وهو أن يدعو العبد ويناجي ربه بإخلاص واضطرار، ويتصور

---

١. الكليني، الكافي، ج٢، ص٥٦١، ح١٥.

٢. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص٢٥٣.

٣. الصدوق، الأمالي، ص٥١٩.

٤. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٤٩.

نفســه وســط عباب البحر والأمواج المتلاطمة وكأنه يغــرق، ولا منجي له إلا الله تعــالى؛ لأنه حينئذ فقط تزول جميع العوائق والحجب التي لوثت فطرة الإنســان نتيجة اختلاطه بالمادة وتعامله مع العالم السفلي، ويرجع إلى فطرته التي فطره الله عليها، ويكون في خلوة هو وربه، عندها سوف يتذوق لذة المناجاة والارتباط. لكــن على الإنســان أن يختار الوقت المناســب والمكان المناســب لمثل هذا الارتباط، فإنّ للنفوس إقبالًا وإدبارًا، وهناك نفحات تهب على الإنسان في أوقات معينة وأماكن معينة كما سبق وأشــرنا في المتن، والإنسان نفسه هو أدرى بهذه الأوقات والأماكن التي تكون فيها النفس مقبلة ومتى تهب عليه هذه النفحات.

والمنازل التي بيّنها الشــيخ الآصفي ﷺ للرحمة الإلهية هي أهم النماذج التي يجب على الإنسان اغتنامها والاستفادة منها للوصول إلى هذا النوع من الارتباط.

(من المحقق)

الملحق (2): الغَبْن في اللغة والاصطلاح

لقد تطرق الشيخ الآصفي ﷺ في بيان الغَبْن إلى ثلاثة معانٍ:

١. معنى الغبن في اللغة

٢. معنى الغبن عند الفقهاء، وذلك عندما قرّب المطلب بالتشــبيه بالغبن في المعاوضة أو البيع.

٣. معنى الغبن في القرآن الكريم، وذلك عندما تطرق إلى بحث (الحسرة) وسورة (التغابن).

ولكي تتضح هذه المعاني والعلاقة بينها إليك تفصيلها:

بداية يمكن تقسيم البحث إلى قسمين أساسيين:

١. الغَبْن في اللغة

جاء في كتاب العين: الغَبْنُ في الرأي القائل، والغَبْنُ في البيع، وغَبَنْتُهُ فهو مَغْبُونٌ في تجارته[١].

وفي الصحاح: الغَبْنُ بالتسكين في البيع، والغَبَنُ بالتحريك في الرأي. يقال غَبَنْتُهُ في البيع بالفتح؛ أي خدعته، وقد غُبِنَ فهو مَغْبُونٌ. وغَبِنَ رأيَه بالكسر إذا نُقِصَهُ فهو غَبِينٌ؛ أي ضعيف الرأي[٢].

وفي لسان العرب: الغَبْنُ، بالتسكين، في البيع، والغَبَنُ، بالتحريك، في الرأْي. وغَبِنْتَ رأْيَك أَي نَسِيته وضَيَّعْته. غَبِنَ الشيءَ وغَبِنَ فيه غَبْناً وغَبَناً: نسيه وأَغفله وجهله.

والغَبْنُ: النِّسيان. غَبِنْتُ كذا من حقي عند فلان؛ أَي نسيته وغَلِطْتُ فيه. وغَبَنَ الرجلَ يَغْبِنُه غَبْناً: مَرَّ به وهو ماثِلٌ فلم يره ولم يَفْطُنْ له. والغَبْنُ: ضعف الرأْي، يقال في رأْيه غَبْنٌ. وغَبِنَ رَأْيَه، بالكسر، إذا نُقِصَه، فهو غَبِين؛ أَي ضعيف الرأْي، وفيه غَبانَة. وغَبِنَ رأْيُه، بالكسر، غَبَناً وغَبَانة: ضَعُف

ورجل غَبِينٌ ومَغْبُونٌ في الرأْي والعقل والدِّين. والغَبْنُ في البيع والشراء: الوَكْس، غَبَنَه يَغْبِنُه غَبْناً هذا الأَكثر؛ أَي خدَعه، وقد غُبِنَ فهو مَغْبُونٌ، وقد حكي بفتح الباء. وغَبِنْتُ في البيع غَبْناً إذا غَفَلْتَ عنه، بيعاً كان أَو شِرَاء[٣].

وفي القاموس: غَبِنَ الشَّيءَ وغَبِنَ فيه، كفَرِحَ، غَبْناً، بالفتْحِ، وغَبَناً، بالتَّحْريكِ: نَسِيَهُ أَو أَغْفَلَهُ وجَهلَهُ.

أَو غَبِنَ كذا من حقِّه عنْدَ فلانٍ: غَلِط فيه.

---

١. كتاب العين، مادة: غبن، ج٤، ص٤٢٥.

٢. الصحاح: فصل الغين، مادة: غبن، ج٦، ص٢١٧٢.

٣. لسان العرب، فصل الغين المعجمة، مادة: غبن، ج١٦، ص٣٠٩.

وغَبَنَهُ في البَيْعِ يَغْبِنُهُ غَبْناً، بالفتْحِ ويُحَرَّكُ؛ أَو الغَبْنُ بالتَّسْكينِ في البَيْعِ وهو الأَكْثَر، وبالتَّحْريكِ في الرَّأْيِ: إذا خَدَعَهَ ووَكَسَه.

وقيلَ؛ غَبِنَ في البَيْعِ غَبْناً: إذا غَفَلَ عنه بيعاً كانَ أَو شِرَاءً.

وقد غُبِنَ الرَّجُل، كعُنِيَ، فهو مَغْبُونٌ؛ والاسْمُ الغَبِينَةُ، كالشَّتِيمَةِ مِن الشَّتْم.

والتَّغابُنُ: أن يَغْبِنَ بَعْضُهم بَعْضاً[1].

من خلال ما تقدم يتضح ما يلي:

١. أنّ الغَبْن ناتج علاقة بين طرفين، وبالتالي هو متقوم وقائم في طرفين:

الطرف الأول: الغابن أو الخادع.

الطرف الثاني: المغبون أو المخدوع.

٢. أنّ الغَبْن متقوم بعلم واطلاع الطرف الأول؛ وهو الغابن والخادع، وجهل وغفلة الطرف الثاني؛ وهو المغبون والمخدوع. لذلك يقول الشيخ السبحاني:

(المقوّم لصدق الغبن هو غفلة الطرف أو جهله أو نسيانه في مقابل علم الغابن وإغفاله، فتكون النتيجة شرطية علم الخادع وجهل المخدوع، فلو كان الخادع جاهلًا أو المخدوع عالمًا لا يتحقّق الغبن، و لا تصدق الخدعة)[2].

الغَبْن في الاصطلاح

للغبن اصطلاحًا استعمالان: استعمال فقهي، واستعمال قرآني. وإليك بيان نموذج لكلا الاستعمالين:

---

١. تاج العروس، فصل الغين، مادة: غبن، ج١٨، ص٤١٤.

٢. جعفر السبحاني، المختار في أحكام الخيار، ص١٩١.

الغَبْن في الفقه

إنّ أهم موضع يُبحث فيه هذا الاصطلاح هو باب المعاملات والعقود؛ لاسيما عقد البيع؛ حيث يُبحث كأحد ملحقات البيع تحت عنوان (الخيارات)؛ لأنه يترتب عـلى الغبن في المعاملة (خيار الغبن). يقـول الإمام الخميني ﷺ: (لا إشكال في ثبوته - خيار الغبن -؛ للتسالم بين الأصحاب من زمن شيخ الطائفة)[1].

وذكر في الجواهر أنّه لم يجد خلافًا في المسألة بين من تعرّض له[2].

تعريف الغبن

الغبن: هو التمليك بما يزيد على القيمة مع جهل الآخر، أو مبادلة مال بأزيد عن ثمنه المثلي[3].

وقيـل: هو أن يبيع شـيئًا أو يبتاع وهو غير عالم بالقيمـة وفيه غبن لا يتغابن بملكه في مثله، فإذا علم كان له الخيار[4].

شروط ثبوت خيار الغبن

يشترط في ثبوت خيار الغبن شرطان:

الشرط الأول: عدم علم المغبون بالقيمة

فالمغبون حين المعاملة لا يخرج عن الصور التالية:

إمّا أن يكون جـاهلا بالقيمة، أو غافلا عنها، أو عالما بغبنه أو مطمئنا أو ظانّا أو شاكّا.

---

١. روح الله الموسوي الخميني، كتاب البيع، ج٤، ص٤٠٤.

٢. محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، ج١٢، ص٣٤.

٣. جعفر السبحاني، المختار في أحكام الخيار، ص١٩٢.

٤. ابن حمزة، الوسيلة إلى نيل الفضيلة، ص٢٣٧.

ولا شك في ثبوت الخيار إذا كان جاهلاً بالقيمة أو غافلًا عنها.

ولا شــك في عدم ثبــوت الخيار في صورة الإقدام عــلى المعاملة مع العلم أو الاطمئنان بالغبن.

وأما في صورة الظن بالغبن أو الشك فيه، فالظاهر وجود الخيار[١].

الشرط الثاني: كون التفاوت فاحشًا

من الشروط لثبــوت الخيار أيضًــا أن يكون التفاوت بيــن القيمة الحقيقية والواقعيــة والقيمة التي تم التعامل بها فاحشًــا وكبيرًا، ولم يحدد الفقهاء مقدار هذا التفاوت وإنما يحدده العرف حين المعاملة، فإنّ نقيصة الثمن عن المثمن أو زيادتــه عليه ربّما تكــون على وجه لا يتحمّلــه نوع الناس، فعنــد ذلك يثبت الخيــار، بخلاف ما يتحمّله نوعهم، فلا يعتدّون به، فلا خيار. و بعبارة أخرى: ربّما تكون يســيرًا بالنسبة إلى المبيع و الثمن، فلا يعد ضررًا وغبنا، وأخرى تكون كثيرا بالنسبة إليهما فيعد ضررًا وغبنًا.

وكون التفاوت يسيرًا أو كثيرًا أمر نفسيّ لا نسبيّ؛ أي أنّ كون التفاوت يسيرًا أو كثيرًا، موجبًا للضرر أو لا، أمر نفســي لا نســبي، فتلاحَظ المعاملة بما هي هي مع قطــع النظر عن المتعاملين، من حيث إنّهما غنيان أو فقيران أو بين غني وفقير، فلو كان التفاوت بالنسبة إلى نفس المعاملة من حيث المبيع و الزمان والمكان فاحشًــا يثبت الخيــار، وإن كان المغبون ثريّا لا يؤثّر هــذا المقدار من الضرر في حقّه، وإن لم يكــن كذلك فلا يوجب الخيــار، وإن كان المغبون فقيرًا محتاجًا إلى نفــس هذا التفاوت، وما ذلــك إلّالأنّ البيع ربط بين المالين، وليس ربطًا بين المالكين[٢].

---

١. راجع: روح الله الموســوي الخميني، كتاب البيع، ج٤، ص٤٢٩؛ وجعفر السبحاني، المختار في أحكام الخيار، ص٢٢٦ - ٢١٢.

٢. راجع: جعفر السبحاني، المختار في أحكام الخيار، ص٢٣٠ - ٢٢٦.

يقــول الإمام الخميني قدس سره: (ثــمّ إنّ الظاهر: أنّ المناط فــي الضرر الموجب للخيار، هو الضرر الحاصل في كلّ معاملة بالنسبة إلى أحد المتعاملين، من غير فرق بين الأشخاص من حيث الغنى والفقر، والثروة وعدمها؛ ضرورة أنّ كلّ مقدار يكــون ضررًا في المعاملة، ويكون ممّا لا يتغابن الناس بمثله بالمعنى المتقدّم، فهو موجب للخيار ولا فرق في ضرريته بين الأشخاص.

فبيع ما يساوي عشرة بالسبعة مثلاً، ممّا لا يتغابن - لا يتسامح - به الناس؛ سواء كان البائع ممّن لا يهتمّ بهذا الضرر أم لا، فعدم اعتداد المتعامل بالضرر، أمر خارج عن الغبن في البيع، ولا تعقل سراية اختلاف المتعاملين في المقام إلى المعاملة. وإن شئت قلت: إنّ نقص السلعة عن الثمن أو بالعكس، أمر نفسي، لا نسبي)[1].

الحكم المترتب على الغبن

أهم حكم يترتب على الغبن هو أنّ العقد يصبح متزلزلًا وقابلًا للفسخ وثبوت الخيار للمغبون؛ يعني أنّ للمغبون الاختيار في فســخ هذا القعد ورجوع كل من المتعاقدين على الآخر فيما أخذ منه، أو إمضائه وإقراره على ما هو عليه والتنازل عن هذا الحق للطرف الآخر، أو تصرفه بالسلعة التي وقع عليها الغبن، بعد علمه بالغبن.

الغَبْن في القرآن الكريم

ورد الغبن في القرآن الكريم بشــكل صريح في قوله تعــالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[2].

وهو على وزن (التفاعل) أي المشاركة والتبادل وفعل البعض بالبعض الآخر.

يقــول في مجمع البحرين: قولــه تعــالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾؛ أي يوم يغْبَنُ

---

١. روح الله الموسوي الخميني، كتاب البيع، ج٤، ص٤٥٩.

٢. التغابن: ٩.

فيه أهــل الجنة أهل النار. وأهــل الْغَبْنِ: أهل النقض فــي المعاملة والمبايعة والمقاسمة، فقوله يوم التَّغَابُنِ مستعار من تَغَابَنَ القوم في التجارة.

وَعَــنِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَا مِنْ عَبْــدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَــاءَ، لِيَزْدَادُ شُكْراً، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لِيَزْدَادَ حَسْرَةً، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ".

الْمَغْبُــونُ: الــذي يبيع الكثيــر بالقليل، ومــن حيث اشــتغال المكلف أيام الصحــة والفراغة بالأمور الدنيوية، يكون مَغْبُوناً؛ لأنه قد باع أيام الصحة والفراغة التي لا قيمة لها بشــيء لا قيمة له من الأمور الحقيرة الفانية المنغّضة بشــوائب الكدورات(١).

وقال الراغب في مفرداته: الْغَبْنُ: أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفــاء، فإن كان ذلك في مال يقال: غَبَــنَ فلانٌ، وإن كان في رأي يقال: غَبِنَ، وغَبِنْتُ كذا غَبَناً: إذا غفلت عنه فعددت ذلك غَبَناً، ويَوْمُ التَّغابُنِ: يوم القيامــة لظهور الغَبْنِ في المبايعة المشــار إليها بقولــه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾[٢]، وبقوله: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾[٣]، وبقوله: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٤]، فعلمــوا أنّهم غُبِنُوا فيما تركوا من المبايعة، وفيما تعاطوه من ذلك جميعا.

وَ سُــئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ يَوْمِ التَّغَابُنِ؟ فَقَالَ: تَبْدُو الْأَشْيَاءُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَقَادِيرِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

---

١. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، باب ما أوله الغين، ج٦، ص٢٨٨.

٢. البقرة: ٢٠٧.

٣. التوبة: ١١١.

٤. آل عمران: ٧٧.

قال بعــض المفسرين: أصل الْغَبْنِ: إخفاء الشــيء، والْغَبَنُ بالفتح: الموضع الذي يخفى فيه الشيء[1].

الأقوال في تفسير (التغابن)

لقد اختلف المفسرون في معنى التغابن في هذه الآية على أربعة أقوال؛ اثنان منهما ذكرهما الراغب الأصفهاني، واثنان آخران ذكرهما العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان، وهي على النحو التالي:

القــول الأول: ما نقلنــاه عن الراغــب الأصفهاني من قوله: هــو (يوم القيامة لظهور الغَبْنِ في المبايعة المشار إليها بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾، وبقولــه: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾، وبقوله: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فعلمــوا أنّهــم غُبِنُوا فيما تركوا من المبايعة، وفيما تعاطوه من ذلك جميعا)[2].

لكنّ العلامة الطباطبائي لا يقبــل هذا القول، ويقول معلّقًا عليه: (وما ذكره؛ أوّلًا: مبني على تفســير التغابن بسريان المغبونية بين الكفار بأخذهم لمعاملة خاســرة وتركهم معاملة رابحــة، وهو معنى حســن غير أنه لا يلائــم معنى باب التفاعل الظاهر في فعل البعض في البعض)[3].

القول الثاني: نقله الراغب في مفرداته أيضًا من أنه تبدو لهم الأشياء في ذلك اليوم بخلاف مقاديرهم في الدنيا[4].

لكــنّ العلامة الطباطبائــي لا يقبل هذا القول أيضًا، ويقــول معلّقًا عليه: (لا يخلو من دقة، ويؤيــده مثل قولــه تعــالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ

١. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٠٢.

٢. المصدر نفسه.

٣. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٣٠٠.

٤. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٦٠٢.

اَعۡيُنٍ﴾[١]، وقولــه: ﴿لَهُمۡ مَا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ﴾[٢]، وقولــه: ﴿وَبَدَا لَهُمۡ مِنَ اللهِ مَا لَمۡ يَكُونُوا يَحۡتَسِبُونَ﴾[٣].

ومقتــضى هذا الوجه عموم التغابن لجميع أهل الجمع من مؤمن وكافر، أما المؤمــن؛ فلما أنه لم يعمل لآخرته أكثــر مما عمل؛ وأما الكافر، فلأنه لم يعمل أصلا، والوجه المشــترك بينهما أنــهما لم يقدّرا اليوم حق قــدره. ويرد على هذا الوجه ما يرد على سابقه)[٤].

القول الثالث: وهــو أن يعتبر التغابن بين أهل الــضلال متبوعيهم وتابعيهم، فالمتبوعون وهم المســتكبرون يغبنون تابعيهم وهــم الضعفاء؛ حيث يأمرونهم بأخذ الدنيا وترك الآخرة، فيضلون، والتابعون يغبنون المتبوعين حيث يعينونهم في استكبارهم باتباعهم، فيضلون، فكلٌّ من الفريقين غابن لغيره ومغبون من غيره(٥).

القــول الرابع: وهو أنّ لكل عبد منزلًا في الجنة لو أطاع الله لدخله، ومنزلًا في النــار لو عصى الله لدخله، ويوم القيامة يعطى منــازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة، ويعطى منازل أهل الجنة في النــار لأهل النار، فيكون أهل الجنة - وهم المؤمنون - غابنين لأهل النار - وهم الكفار -، والكفار هم المغبونون[٦].

وقد أشــار إلى هذا القول الشــيخ عباس القمي ﷺ في سفينته؛ حيث قال بعد فــي ذيل آية التغابن: (قالــوا: أي يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول الســعداء منازل

---

١. السجدة: ١٧.

٢. ق: ٣٥.

٣. الزمر: ٤٧.

٤. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٣٠١.

٥. المصدر نفسه.

٦. المصدر نفسه.

الأشقياء لو كانوا سعداء، وبالعكس)[1].

وهـذا التفسـير - أي القول الـرابع - هو الذي أشـار إليه الشـيخ الآصفي ﷺ عند حديثه عن الحسـرة والتغابن بقوله: (فما من إنسـان يخلفـه الله تعالى إلا ويجعل له منزلًا فـي الجنة ومنزلًا في النار، فإذا جمع الله الناس ليوم الجمع، فاز الصالحون بمنازل الظالمين في الجنة، وشقي الظالمون بمنازل الصالحين في النار، وهذا هو معنى التغابن بين الصالحين والظالمين في الآخرة).

روايات مؤيدة للقول الرابع

ويؤيد هذا القول روايات وردت في المقام؛ منها:

عـن النبيّ ﷺ، قال: (ما من عبد مؤمن يدخـل الجنة الّا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شـكرًا، وما من عبد يدخل النار الّا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة)[2].

عَـنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (يَوْمَ التَّلاقِ، يَوْمُ يَلْتَقِي أَهْلُ السَّـمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ. وَيَوْمَ التَّنـادِ، يَوْمُ يُنَادِي أَهْلُ النَّارِ أَهْـلَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ. وَيَوْمُ التَّغابُنِ، يَوْمُ يَغْبِنُ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ. وَيَوْمَ الْحَسْرَةِ يَوْمُ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فَيُذْبَحُ)[3].

(من المحقق)

---

١. عباس القمي، سفينة البحار، باب الغين بعده الباء، ج٦، ص٦٠٠.

٢. المصدر نفسه.

٣. الصدوق، معاني الأخبار، ص١٥٦.

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. نهج البلاغة، جمع وشـرح الشريف الرضي، طهران- إيران: مؤسسة نهج البلاغة، ١٣٧٢ هـ ش.

٣. الآمدي، عبد الواحد التميمي، غـرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: مهدي رجائي، قم - إيران: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ ق.

٤. الكفعمي، إبراهيم بـن علي العاملي، مصبـاح الكفعمي (جنة الأمان الواقيـة وجنة الإيمان الباقية)، إيران - قـم: دار الرضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ ق.

٥. الطباطبائي، محمد حسـين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت - لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ هـ ق.

٦. المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السـقا، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١ م.

٧. المجلسـي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث، ١٤٠٣ هـ ق.

٨. الترمذي، أبو عيسـى محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق: محمد شـاكر، مصر - القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٧٥ م.

٩. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دمشق - سوريا: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

١٠. الصنعاني، عبد الرزاق، تفسـير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض - السعودية: مكتبة الرشد للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.

١١. ابن أبي شـيبة، أبـو بكر عبد الله بـن محمد، المصنّف فـي الأحاديث والآثـار، تحقيق: كمال يوسـف الحـوت، الرياض - السـعودية: مكتبة

الرشد للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ق.

١٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت - لبنان: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ق.

١٣. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا (ع)، تحقيق: مهدي لاجوردي، إيران - طهران: دار العالم للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ هـ ق.

١٤. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران - إيران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ ق.

١٥. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، الخصال، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ق.

١٦. ابن طاووس، علي، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق: علي عاشور، إيران - قم: خيام، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ ق.

١٧. ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

١٨. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا - لبنان: المكتبة العصرية، [د تا].

١٩. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، قم - إيران: مطبوعات وفائي، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ ش.

٢٠. الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم - إيران: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٦ هـ ق.

٢١. المحدّث النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، بيروت - لبنان: مؤسسة آل البت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ق.

٢٢. ابـن أبي فراس، ورام، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، قم - إيران: مكتبة الفقيه، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ق.

٢٣. الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، تصحيح وتحقيق: غلامرضا فياضـي، قم - إيران: مؤسسـة النشـر التابعة لجماعة المدرسـين في الحوزة العلمية بقم، [بد تا].

٢٤. الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، تحقيق: عبّاس علي الزارعي السـبزواري، قم - إيران: مؤسسة النشـر التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، [بد تا].

٢٥. الصـدوق، محمد بن بابويـه القمي، فضائل الأشـهر الثلاثـة، تحقيق: غلامرضا عرفانيان، قم - إيران: مكتبة داوري، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ ق.

٢٦. ابن طاووس، علي بن موسـى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السـنة، تحقيق: جواد قيومي، قم - إيران: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ش.

٢٧. الصدوق، محمد بـن بابويه القمي، الأمالي، طهـران - إيران: كتابچى، الطبعة السادسة، ١٣٧٦ هـ ش.

٢٨. المفيـد، محمد بن محمـد، الأمالي، تحقيق: ولي حسـين، قم - إيران: مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ق.

٢٩. المجلسـي، محمد باقـر، زاد المعـاد - مفتاح الجنـان، تحقيق: علاء الدين أعلمي، بيروت - لبنان: مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ق.

٣٠. الطوسـي، أبـو جعفر محمد بـن الحسـن، مصباح المتهجّد وسـلاح المتعبّد، بيروت - لبنان: مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ق.

٣١. التميمـي، نعمان بن محمـد المغربي، دعائم الإسـلام، تحقيق: آصف فيضي، قم - إيران: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ ق.

٣٢. الصـدوق، محمد بن بابويـه القمي، مـن لا يحضره الفقيـه، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم - إيران: مؤسسـة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ ش.

٣٣. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق: هاشم رسولي، طهران - إيران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ق.

٣٤. العاملي، زين الدين بن علي (الشهيد الثاني)، مُسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة و الأولاد، قم - إيران: بصيرتي، الطبعة الأولى، [بد تا].

٣٥. الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين والدرع الحصين، بيروت - لبنان: مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٥ هـ ق.

٣٦. الصدوق، محمد بن بابويه القمي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، قم - إيران: دار الشريف الرضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ق.

٣٧. الديلمي، حسن بن محمد، إرشاد القلوب إلى الصواب، قم - إيران: الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ق.

٣٨. الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، قم - إيران: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ق.

٣٩. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق: عبد الحسين أميني، النجف الأشرف - العراق: دار المرتضوية، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ ش.

٤٠. الطوسي، أبو جعفر محمد بن حسن، الأمالي، قم - إيران: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ق.

٤١. ابن المشهدي، محمد، المزار الكبير، تحقيق: جواد قيومي، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ق.

٤٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت - لبنان: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ ق.

٤٣. الحلي، أحمد بن فهد، عدة الداعي ونجاح الساعي، تحقيق: أحمد موحدي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ق.

٤٤. الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة - مصر: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ ق.

٤٥. الصدوق، محمد بن بابويه القمي، التوحيد، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٣٢٨ هـ ق.

٤٦. المشكيني، علي، تحرير المواعظ العددية، تحقيق: علي الأحمدي الميانجي، قم - إيران: دار الهادي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤ هـ ق.

٤٧. الحلي، أحمد بن فهد، التحصين في صفات العارفين، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم - إيران: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ق.

٤٨. التبريزي، جواد الملكي، المراقبات (أعمال السَّنَة)، إيران - قم: بيدار، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ ق.

٤٩. تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، إيران - قم: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ق.

٥٠. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، بيروت - لبنان: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ق.

٥١. البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين محقق، قم - إيران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ ق.

٥٢. العاملي، زين الدين بن علي الجبعي (الشهيد الثاني)، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، قم - إيران: مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ ق.

٥٣. العاملي، زين الدين بن علي الجبعي (الشهيد الثاني)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، قم - إيران: مكتبة الداوري، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ق.

٥٤. العاملي، شمس الدين محمد بن مكي (الشهيد الأول)، موسوعة الشهيد الأول (الرسائل الفقهية)، قم - إيران: مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، ١٤٣٠ هـ ق.

٥٥. ابن إدريس، فخر الدين محمد بن أحمد الحلي، السرائر الحاوي

لتحرير الفتاوى، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ ق.

٥٦. الصدوق، محمد بن بابويه القمي، علل الشرائع، قم - إيران: مكتبة الداوري، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.

٥٧. پاينده، أبو القاسم، نهج الفصاحة، إيران - طهران: دنيا المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ هـ ش.

٥٨. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قم - إيران: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ ق.

٥٩. معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، إيران - قم: انتشارات أسوة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ق.

٦٠. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت - لبنان: دار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ق.

٦١. الواسطي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ق.

٦٢. الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي مخزومي، قم - إيران: نشر هجرت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ ق.

٦٣. السبحاني، جعفر، المختار في أحكام الخيار، قم - إيران: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٤ هـ ق.

٦٤. الخميني، روح الله الموسوي، كتاب البيع، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، طهران - إيران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الطبعة الرابعة، ١٤٣٤ هـ ق.

٦٥. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام (ط - حديثة)، قم - إيران: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي على مذهب أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ق.

٦٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق، قم - إيران: دار الشريف الرضي، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ ق.

٦٧. ابن حمزة، أبو جعفر الطوسي، الوسيلة إلى نيل الفضيلة، تحقيق: محمد الحسون، قم - إيران: مكتبة المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ ق.

٦٨. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد حسيني أشكوري، طهران - إيران: مكتبة مرتضوي، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ ق.

٦٩. القمي، عباس بن محمد رضا، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، قم - إيران: أسوة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ق.

٧٠. الصدوق، محمد بن بابويه القمي، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ق.

٧١. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة - مصر: السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٩٤ هـ ق.

٧٢. الأحسائي، محمد بن أبي جمهور، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، قم - إيران: مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ق.

٧٣. الحراني، حسن بن علي بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ق.

إصدارات مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي رحمه الله

سلسلة المقاومة في فكر العلامة الآصفي:

١. فصول المقاومة
٢. الوعد الصادق، دلالات ودروس انتصار حزب الله على إسرائيل
٣. مقاومة الاحتلال الإسرائيلي
٤. النصر الإلهي ومنهج التعامل مع الأعداء
٥. التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية
٦. الجهاد بين الرحمة والعنف

سلسلة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي:

١. قصة الغارة الحضارية على العالم الإسلامي
٢. الأخطار التي تهدد ثقافتنا
٣. أزمة المسلم المعاصر بين التراث والمعاصر
٤. محنة المسخ الحضاري والموقف الشرعي من الغزو الثقافي
٥. العولمة والعالمية

كتب متنوعة:

١. شرح دعاء الأسحار
٢. الثقافة القيادية والإدارية في القرآن والسنة
٣. المنازل الثلاثة للرحمة الإلهية **(هذا الكتاب)**

مجموع الإصدارات = ١٤

وما أعظم وأجل وأكرم ما نقرأه في سورة الزمر من الرحمة الإلهيّة السابغة النازلة على المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم في معصية الله! حيث نقرأ هناك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وهذا خطاب للذين أسرفوا على أنفسهم: أن لا يستدرجهم الإسراف في الذنوب إلى القنوط من رحمة الله، فإنّ الله يغفر الذنوب جميعًا، ويخاطبهم الله بهذا الخطاب الجميل ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾، وليس المخاطب بهذا الخطاب أولياء الله وأحباؤه، وإنما المخاطب به الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصي.

مؤسسة حفظ ونشر
تراث الشيخ الآصفي